

لجنة الشباب المسلم

نظرة اجمالية

في

تاريخ الدعوة الإسلامية

في الهند والباكستان

مسعود الزوي

لجنة الشباب المسلم

نظرة اجمالية

في

تاريخ الدعوة الإسلامية

في الهند والباكستان

مسعود الزوي

القاهرة

١٣٧٢

المطبعة السلفية

٢١ شارع الفتح بجزيرة الروضة

مقدمة الفشر :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنعم على الانسانية بأخوة الاسلام ،  
فجمع بها بين قلوب الصفوة المختارة من أنصار الحق ومحبي  
الخير فى مختلف أقطار الارض من أربعة عشر قرنا الى  
الآن ، وصبغهم جميعا بالصبغة التى اختارها لهم ، ومن  
أحسن من الله صبغة ؟ فكانوا بذلك أمة واحدة بعقيدة  
واحدة ونفس واحدة ونية واحدة وأمنية واحدة : أولها  
من وراء رقيق الغار فى طريق الهجرة الى الله ، وآخرها مع  
آخر ناطق بكلمة التوحيد عندما يأذن الله للانسانية بانتهاء  
أيامها على الأرض

ومن الصفوة المختارة بين أنصار الحق ومحبي الخير فى  
دنيا المسلمين الآن مؤلف هذا الكتاب أخى فى الاسلام  
ومبادئه الاولى وأغراضه القصوى الاستاذ مسعود الندوى

عرفته بظهر الغيب وتجاوب الأمانى وتوافق الفكر منذ نحو ربع قرن عندما كان طالباً في ( دار العلوم ) بمدينة لكنو ، وهى مما أسسته ( ندوة العلماء ) التى غرس دوحها المباركة كبير علماء الهند فى وقته مولانا الشيخ شبلى النعمانى رحمه الله ثم خلفه على رعايتها والاضطلاع برسالتها كبير علماء مسلمى تلك الديار اليوم مولانا السيد سليمان الندوى مدء الله فى حياته ، وبإشرافه وإرشاده وتوجيهه قام الاستاذ مسعود باصدار مجلة (الضياء) العربية من سنة ١٣٥١ الى سنة ١٣٥٤ هـ والظاهر أنها كانت سابقة لأوانها ، أوفوق مستوى الجمهور الذى تعيش به مطبوعاتنا الدورية ، فاضطر منشئها الفاضل مؤلف هذا الكتاب الى الانصراف عنها الى ميادين أخرى لجهاده ، وكان آخر ذلك تأسيسه ( دار العروبة ) عقب الحرب العالمية الثانية ، ومن دار العروبة تصدر التراجم العربية لصيحات الحق التى ينادى بها المجاهد فى سبيل إصلاح المجتمع الاسلامى الاستاذ أبو الأعلى المودودى ، محاولاً إصلاح المجتمع الانسانى نفسه بإرشاده الى نظام الاسلام

الذى لاسعادة للانسانية إلا بالرجوع اليه  
ومن العجيب أن تؤسس في باكستان داراً للعروبة عن  
إيمان وطيد بأن العروبة شقيقة الاسلام ووعاؤه ولسانه ،  
وأنها منه كاللازم من الملزوم أو الملزوم من اللازم . ولو  
دعا الى الايمان بذلك قطر يتكلم أهله بالعربية لما كان أمراً  
عجيباً ، غير أنه قد يُحمل على المحبة الفطرية التي جبل عليها  
المتكلمون بلغة للغتهم وما يتصل بها أو تتصل به . أما أن  
تأسس دار العروبة في قلعة راولبندى من باكستان ، وأن  
يؤمن مؤسسو تلك الدار وفي طليعتهم مسعود الندوى بأن  
العروبة شقيقة الاسلام ووعاؤه ولسانه ، فال هذا لا يصدر  
إلا عن قلوب تتحرق أسفاً لأن القارة الهندية حُرمت  
أقدام الفاتحين من العرب ممن تشرفوا بصحبة النبي ﷺ أو  
تتلمذوا لأصحابه الكرام رضى الله عنهم (١) ، بينما البلاد  
الأخرى التي لم تحرم أقدام الفاتحين ممن تشرفوا بصحبه ﷺ

---

(١) انظر ص ١٥ من هذه الرسالة عند كلام المؤلف على الدعوة الاسلامية

وقد أسس قواعدَ الحكم العادل الرحيم فيها رجال أبرار  
تتلمذوا للصحابة الكرام ، لا نراها تعرف قدر هذا الشرف  
العظيم كما كان ينبغي لها ، ولا تعنى بتذكير أبناء الجيل في  
مدارسها بقواعد الحكم العادل الرحيم التي عمل بها للتابعون  
في حكومتهم ، بل رأينا في بعض البلاد التي تشرفت بفتح  
الصحابة لها ، ودخولها في الاسلام على أيديهم ، من يذيع  
قالة السوء من أعداء الصحابة فيما كذبوه عليهم وشوهوه  
من سيرتهم وسيرة تلاميذهم من التابعين الأبرار الأخيار  
والتابعين لهم باحسان . والحق أن مسلمي الباكستان والهند  
من أعظم مسلمي الأرض وفاء لإسلامهم ، بما يبدو من  
وفائهم للذين كانوا سبب دخولهم في الاسلام كمحمد بن  
القاسم الثقفي تلميذ الحجاج بن يوسف ورسوله بالاسلام الى  
تلك الديار .

وفي العالم الاسلامي اليوم مؤلفون لا يحصى عددهم ،  
لكن الذين ينظرون منهم الى الاسلام بمثل العين التي كان  
ينظر اليه بها أولئك الذين عاشوا في الطبقة الاولى والثانية

والثالثة من صدر الاسلام قليلٌ عددهم ، وأقل منهم الذين بلغت بهم محبة الاسلام المبالغ الذي يميزون فيه بين أعدائه وأصدقائه ، وبين ما يدخل في ميزانه وما يخرج عنه ، ومن هذا القليل النادر الاستاذ مسعود الندوى ، ولا غرو فهو من صفوة تلاميذ مولانا السيد سليمان الندوى ، ومن نوابغ أبناء ندوة العلماء ومعهدا العلمى العظىم دار العلوم . وقد جمع الاستاذ مسعود بين وفائه لدينه ووفائه لوطنه بتأليفه كتابين أحدهما أطول من هذا كان قد آثرنى به وبعث بفصوله الى (الفتح) فنشرت فى أجزاءه تباعاً ، وستصدر ان شاء الله فى كتاب على حدة ، وهى تزيد على هذه الرسالة بما تعرضت له من تاريخ ملوك الهند المسلمين . أما هذه الرسالة فتقتصر على العناية بتاريخ الاسلام — لا المسلمين — وما طرأ على الدعوة الاسلامية فى الهند وباكستان من تطور من فجر الاسلام الى العصر الحاضر

ولما كان العالم الاسلامى وطناً واحداً للمسلمين جميعاً ، فان نشر هذين الكتابين بقلم أخى المجاهد الاستاذ مسعود



الندوى مما يساعد على زيادة التعارف بين المسلمين ، وعلى تعريف من لا يعرف الهند وباكستان منهم بهذه الناحية العظيمة من العالم الاسلامى . والمسلمون كلما تعارفوا ازدادوا تآلفاً ، وازداد بهم الاسلام قوة واستعلاء . لا سيما اذا كان التعريف من عليم صدوق ناصح لا تحمله محبة الوطن على كتمان نواحي الضعف فى أحداثه ، بل هو يرى من محبة الوطن أن يزجى العبرة لأبنائه من أخطاء التاريخ ، كما يزجى الموعظة لهم من ناحية القدوة والأسوة بما مضى فى تاريخ هذه الأمة من خير

وسيرى قراء العربية فى مصر وجميع أنحاء العالم الاسلامى بياناً بليغاً صادقاً فى هذه الرسالة عن دعوة الاسلام فى الهند وما طرأ عليها من هبوط واعتلاء ، بما صدر عن شأنها والمؤمنين بها من جهود لتقليص ظلها والقضاء عليها ، أو نشر هدايتها والعمل على بعثها وإحياء سننها . وسيرون كيف يصطدم الحق بالباطل ، وكيف يُقمع الباطل بصولة الحق ، وسيكون من أثر ذلك إحياء ذكرى المجاهدين الاسلاميين

في الهند ونقش أسمائهم في قلوب أولياء الاسلام ، والاعتبار  
بمكايد المبغضين للاسلام لمقاومة أمثالهم ممن يستعين بهم  
الشیطان في كل زمان ومكان . فهي إذن من خير ما ينبغي  
للشباب المسلم الاطلاع عليه

وقد تولى نشر هذه الرسالة ( لجنة الشباب المسلم ) التي  
تألفت في مصر من متخرجي الجامعات المصرية الذين بايعوا  
الله على أن يتقربوا اليه باحیاء شریعته وآدابها في أنفسهم  
وكل من يتصلون به من لداتهم وإخوانهم ، وأن ينشروا  
ما يعتقدون النفع للمسلمين بنشره من الكتب عن حقائق  
الاسلام وأحوال المسلمين . ويسعدني أن أنوب عنهم في  
كتابة هذه المقدمة للتعريف بأخي الاستاذ مسعود الندوی  
ورسالته ، وان كان الطيب بما يفوح من عبيره لا يحتاج  
الناس معه الى تعريف

محب الدين الطيب

دار الفتح  
في روضة القسطنطينية  
بمصر

## مقدمة

المؤلف

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد ، فهذا كتيب ألفته ، وسفر صنعته ، تعريفاً بالدعوة الإسلامية في الهند وباكستان ، وتنوياً بمجهود دعاة الإسلام الخالص وجهادهم المتواصل لإعلاء كلمة الحق في هذه البلاد التي لا يصل إخواننا في الأقطار الأخرى من أخبارها وأعمال القائمين بالدعوة فيها إلا قليل .

وقد سبق لي من قبل نشر مقالات وفصول متتابعة عن انتشار الإسلام في الهند وتاريخ ملوكها المسلمين في صحيفة (الفتح) الزاهرة ، وذلك قبل ستة عشر عاماً فصاعداً . أما هذه الرسالة ، فإنها تعنى بتاريخ الإسلام — لا المسلمين — وما طرأ على الدعوة الإسلامية في هذه البلاد من تطورات وتقلبات في القرون الغابرة المتطاولة التي تمتد من فجر الإسلام إلى العصر الحاضر . وفرق ما بين (الإسلام) و (المسلمين) لا يخفى على اللبيب المتبصر ، ولا سيما في هذا العصر الذي اتسع فيه الخرق على الراقع ، واتسم

بالمسلم ، وادعى الحقوق التي يخوسها الإسلام أبناءه ، كل من ولد من أبوين مسلمين وكتب اسمه في سجل الإحصاء الرسمي .

على أن هذا الكتيب ، قد توخيت فيه الإيجاز حسب ما استطعت ، لأنه قد تقدم لهذا العاجز تأليف كتاب جامع مفصل في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان ، وفيت فيه الموضوع حقه من البحث والتحقيق وبذلت في جمعه وتدوينه الجهد المستطاع عسى أن يتحلى بالطبع عن قريب إن شاء الله تعالى .

والله المسئول أن يتقبل هذه الجهود القليلة بقبول حسن ، وأن يجعل سائر أعمالنا خالصة لوجهه الكريم . إنه ولي التوفيق وإنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه العاجز الفقير إلى رحمة الله

**مسعود النوري**

دار العروبة — راوالبندي (باكستان)

ثالث ربيع الأغر سنة ۱۳۷۲ هـ

دار العروبة للدعوة الإسلامية

# الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان

## نظرة إحصائية في ماضيها وماضرها ومستقبلها

### ١ - انتشار الإسلام

انتشر الإسلام في الهند بوسائل عديدة وطرق شتى. من أهمها ارتياد التجار العرب لشواطئ الهند الغربية منذ أقدم العصور، وكان أولئك التجار يُبحرون من سيراف والأبلة (موانئ قديمة في الخليج الفارسي) ويمرون بشواطئ الهند الغربية وجزيرة سرنديب إلى أن يصلوا شواطئ الهند الشرقية. ومن هناك كانوا يبحرون إلى الصين.

ولما أن استضاءت بلاد العرب بنور الإسلام وعقب أريج فضله في سهولها وجبالها جاء أولئك التجار العرب الذين كانوا يرتادون سواحل الهند بقبس من ذلك النور الوهاج وأضاءوا به أرجاء الهند الساحلية، وكان ذلك أول عهد الهند بالإسلام، وفي أوائل عصر الخلفاء الراشدين.

والطريق الثاني الذي دخل منه الإسلام الهند ، هي بلاد  
السند الواقعة على شاطئ الهند الغربي الشمالي ، دخلها الإسلام  
واستنارت بنوره واستضاءت بضوئه ، حينما دخل محمد بن القاسم  
الثقفي فاتحاً (١) . وذلك سنة ٩٢ للهجرة . وبما يجدر بالمقام ذكره  
أن محمد بن القاسم فتح السند وهو ابن سبعة عشر عاماً ، وفيه قال  
الشاعر :

ساس البلاد لسبع عشر حجة ولداته عن ذاك في أشغال  
ولولا مؤامرة مناوئيه في دمشق ورجوعه إلى العاصمة على أثر  
طلب من الخليفة ، لفتح السند كلها ، ولما كانت الأرض اليوم  
غير الأرض .

والطريق الثالث الذي دخل منه الإسلام الهند ، هي الحدود  
الشمالية الغربية ومرزها الجبلي الشهير ، المعروف بوعورة مسلكه  
وكثرة عقباته . وأول من دخل الهند فاتحاً من هذه الطريق  
الجبليّة ، محمود الغزني ( ٣٨٨ - ٤٢١ هـ ) ، ثم تتابعت حملات

---

(١) بدأت الحملات على الشواطئ الشمالية الغربية في عهد عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه ، إلا أنهم ما توغلوا في داخل البلاد وقتئذ . وإنما استتب لهم  
الأصم بيد القائد الشاب محمد بن القاسم

الملوك والقواد ورجال البأس والنجدة من الترك والأفغان  
والمغول، فأصبحت بلاد الهند كلها خاضعة لحكم الملوك المسلمين،  
وأصبح لهم فيها الأمر والنهي. وبقي الأمر على ذلك زهاء سبعة  
قرون إلى أن دخلتها الأنكليز؛ ولكن ملوك المسلمين — على  
ما كانوا عليه من شدة البأس وأبهة الملك والسلطان — ما أكرهوا  
الآهالي وسكان البلاد على الدخول في دين الله وقبول دعوة  
الإسلام، وإنما أسلم من أسلم منهم مقتنعاً بصدق الدعوة، مؤمناً  
بالله واليوم الآخر. نعم، قد انجذب إلى الإسلام، دين العدل  
والنصفة، عدد غير قليل من المنبوذين المضطهدين الذين وجدوا  
في الإسلام نجاة لأنفسهم، وتخلصاً من مصائبهم وفكاً كآ  
لأغلاهم التي كانوا يرسفون فيها منذ قرون وأحقاب طويلة.

## ٢ — الدعوة الإسلامية وتقلص ظلها

ومما يجب تسجيله في هذا المقام، مع الأسف الشديد، أن  
الملوك الذين دخلوا الهند في القرن الرابع للهجرة وما بعده،  
ما اهتموا بدعوة الإسلام في قليل ولا كثير. وإنما كان جل همهم  
في توطيد الملك وإنفاق الأموال في الترف والبذخ ولذائد العيش  
ومتع الحياة الدنيا الفانية. ولعمر الحق انهم لو اعتنوا بدعوة

الإسلام ونشر كلمة الحق معشار ما عُنوا به من تشييد بنيان الملك وتوطيد دعائم العز الزائل لتبدلت الأرض غير الأرض وانعدم الكفر من بلاد الهند قاطبة . والذي نراه اليوم من اسم الإسلام في هذه البلاد وارتفاع كلمته في بعض أقطارها ، فالفضل فيه يرجع إلى العلماء والمشايخ الذين هاجروا أو طانهم في بلدان الإسلام ودخلوا الهند دعاة مرشدين وخالطوا أهلها وعاشروهم ولقنوهم مبادئ الدين الحق وعلوهم آداب الإسلام، فتأثر سكان البلاد بأخلاقهم الزكية وسجاياهم العالية ، واختاروا الإسلام ديناً لهم عن طيب نفس وانشراح صدر ، لكن أعمال بعض دعاة الحق وإسلام من التجار والعلماء والمشايخ لا تبرى ساحة الملوك المسلمين وأصحاب السلطان منهم من تبعه هذه الغفلة المنكرة ، والتهاور الشنيع في أمر الدعوة . وان ننس ، لانسى أن بلادنا قد حرمت أقدام الفاتحين من العرب ممن تشرفوا بصحبة النبي ﷺ أو استفادوا من أعصابه الكرام رضى الله عنهم - الذين ما دخلو قطراً إلا أثروا فيه تأثيراً وصبغوه بصبغتهم الإسلامية العربية وبدلوه تبديلاً ، والذين جاءوا منهم إلى بلاد الهند وفتحوها، لم يمتد زمن ملكهم ولا توغلوها في داخل البلاد . وإنما ابليت بلادنا برجال وجماعات من المغول والترک الذين



دخلوها فاتحين ولم يكن لهم علم بمبادئ الاسلام ولا بقوانينه الاجتماعية ، وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بالاسلام ، فلم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان بعد . وذلك من أهم اسباب تقلص ظل الدعوة الاسلامية في الهند وانعكاس رايتها وعدم سيرها على المنهج القويم المعتدل . هذه واحدة .

والثانية أن الذين أسلدوا من المنبوذين والطبقات المضطهدة ، لم يعن بتربيتهم وتنشئتهم على آداب الاسلام وأخلاقه العالية ، فبقيت الآلاف المؤلفات من أولئك متمسكة بعاداتها ورسومها الوثنية وشعائرها المتوارثة ، المناقضة لروح الدين الحنيف وتعاليمه النقية الطاهرة .

والثالثة أن العلماء والمشايخ الذين وردوا الهند في عود الملوك المسلمين ونشروا فيها العلم ، كان جلهم - إن لم يكن كلهم - من علماء ما وراء النهر ، الذين كان معظم اعتمادهم على كتب المتأخرين من فقهاء الحنفية . فما كانوا يعنون بدراسة القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف إلا تحلة للقسم . وء زاد الطين بلة أنهم كانوا جد مولعين بخرافات اليونان وعلومها التي أكل عليها الدهر وشرب ، حتى إنه لم يبق في بلاد اليونان نفسها من يعرف اسمها ورسمها ، فأصبح مسهلو الهند يتسكعوا في ظلمات

علوم اليونان ، وكلما أفاقوا منها قليلا ، انصرفوا إلى كتب في  
الفقه لا تسمن طالب العلم في علمه ولا تغني من جوع ، وأكبوا  
على أسفار في الفروع والخلافات لا تروى الغليل ولا تشفي  
العليل .

والرابعة أن الحكومات المنتمية إلى الاسلام والتي قامت  
وازدهرت في الهند ، كانت كلها ملكاً شخصياً أرستقراطياً ،  
لا يستند إلى الشريعة الاسلامية ولا يتقيد بقوانينها وأحكامها  
إلا قليلا . فما كان من هم أولئك الملوك إلا أن يروا عمالكمهم  
مرتفعة الأعلام ، شاحخة الذرى ، مسموعة الحكمة ، عزيزة  
الجانب ، ينقاد لها الأهالي وتخضع لها شعوب الهند المختلفة ،  
سواء عليهم في ذلك أرتفعت راية الاسلام أم انتكست .

هذه هي الأسباب المهمة والعوامل الجوهرية التي سببت  
تقلص ظل الدعوة الاسلامية في الهند ، وأفضت إلى بقاء الجزء  
الأكبر من سكانها مستمسكا بهقائده الوثنية غارقاً في لجاج الشرك  
والأوهام الجاهلية . وكذلك كان لها تأثير قوى في بقاء الذين  
أسلموا منهم على عاداتهم وتقاليدهم وعدم اصطباغهم بصبغة  
الاسلام والآداب الاسلامية . وجاء ضغطاً على إباله تأثر المشايخ  
والصوفية من المسلمين بتعاليم المتصوفة من البراهمة ، فنشأ فيهم

القائلون بنظريات وحدة الوجود والحلول والمتبعون لمتصوفة الهنداك في رهبايتهم الباطلة ورياضاتهم المخالفة لما جاء به الدين الحنيف من نظام للحياة معتدل ، جامع بين حسنات الدنيا والآخرة .

وجملة القول أنه كان من جراء هذه وتلك أن عين الاسلام الصافية قد كدرت بأوساخ الجهل والبدع ، ومرآته الوضيئة قد اتسخت بأدران التصوف الباطل والعادات الوثنية ، وأن كثيراً من الأفكار والنظريات التي نشأت وظهرت في بلادنا باسم الاسلام وفلسفته لم تكن من الاسلام في شيء ، وأن نظام الحكم الذي امتد سلطانه في طول البلاد وعرضها ما كان له أدنى صلة بالنظام العادل القويم الذي جاء به الاسلام وأرشد اليه النبي الكريم ﷺ ومثله الخلفاء الراشدون في عصورهم أحسن تمثيل .

### ٣ - عصر الضلالة

قد عرف مما تقدم، ما صارت إليه الدعوة الاسلامية في الهند من انحطاط وتقهقر وتنكب عن المنهج القويم، وذلك قبل القرن العاشر للهجرة ، أي قبل دخول آل تيمور الهند وامتلاكهم لخاصية الأمر فيها، ولكن عصر أحفاد تيمور (المتوفى سنة ٨٠٧هـ)

كان أكثر شؤماً وأعظم بلاءً للإسلام وحملة لوائه في هذا القطر العظيم . فإن الملوك الذين عاشوا قبل القرن العاشر ما كانوا يحاربون الإسلام وما كانوا يضطهدون أهله ، بل كان فيهم من سعى في نشر دعوة الدين وإعلاء كلمته أمثال محمد تغلق ( ٧٢٥ - ٧٥٢ هـ ) وابن عمه فيروز تغلق ( ٧٥٢ - ٧٩٠ هـ ) . أما ملوك المغول من أحفاد تيمور ، فقد ظهر من بينهم من حارب الإسلام وناصبه العداء ، واضطهد القائمين بدعوته ، الساعين في رفع كلمته وأرهمهم بأنواع من العذاب والأذى والتضييق . والذي تولى كبر هذه المحاربة الشنيعة وهذا العداء الممقوت ؛ هو الملك ( أكبر ) الذي تبوأ سرير الملك سنة ٩٦٤ للهجرة وساس البلاد خمسين سنة كاملة إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٠١٤ . فأراد هذا الملك الغر أن يقضى على الإسلام أو يلغيه ، حسب ما اصطلاح عليه أنصاره وأشباعه ، وأن يضع ديناً جديداً مقتبساً من شعائر الوثنية ورسومها ، يتخللها شيء من تعاليم الإسلام وتوجهاته . والذي حمله على اقتراف هذه الجريمة الشنعاء ورغبه في ركوب هذا المسلك الوعر ، حرصه على بقائه الملك والتجيب إلى أهالي البلاد من الهنادك ، وزعمه الفاسد بأن هذا الصنيع يقربه إليهم ويرفع مقامه في أعينهم ويحمله محل الصدارة من قلوبهم . فاختر لذلك طرقاً

عديدة ومناهج متشعبة. منها تزوجه من بنات أمراء الهنادك مع بقائهن على عقائدهن وتسمكن بدياناتهن وأدائهن لشعائرهن في القصر الملكي ، ومنها تخلقه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقليدهم في ملابسهم وأوضاع معيشتهم ، وقد بلغ منه المكره والعداء للإسلام أن كان يسمى الخدم والفراشين بأسماء النبي ﷺ ( أحمد ومحمد ) ، تحقيراً لشأن الرسالة وغضاً من كرامتها ، وهيات أن ينال بغيته . وكذلك استبدل بالتقويم الهجري الاسلامي تقويمياً جديداً سماه التقويم الالهى ، يتبدىء بسنة جلوسه على سرير الملك . ومن بدعه أنه أحل الخمر والقمار وغيرهما من الخبائث والمنكرات . وأعانه على ذلك علماء السوء في عصره من عبيد الدينار والدرهم ، فزينوا له ما سوسله له عقله المعتوه ، وجعلوه يستيقن من نفسه العصمة ، وقدموا إليه عريضة - تسمى محضراً باللغة الفارسية - أثبت للملك الغر العصمة وتخوله الحق في أن يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الأحكام ما يريد إلى غير ذلك من الأباطيل والحزبيلات التي تضيق هذه العجالة عن سردها . وجملة القول أن هذه البدع والمنكرات ما كانت إلا مقدمة لما كان عقد العزم عليه من وضع دين جديد ينسخ به دين الله الخالد بزعمه ، ظناً منه ومن خواص أشباعه أن هذا الدين

(الاسلام) الذي جاء به محمد العربي - ود البدوي ، حسب  
تعبير أولئك الزنادقة ، قاتلهم الله وجزاهم عن أعمالهم بما  
يستحقونه - قد مضى عليه ألف سنة ، وقد بلى ثوبه وخلقت  
ديباچته ، والعصر الجديد يومئذ في حاجة إلى دين جديد يوافق  
ميول أهل العصر وأهواءهم ونزعاتهم . فأعلنوا دينهم الجديد  
وسموه (الدين الالهي) وكان شعارهم في ذلك ، الله أكبر ،  
يريدون به أن هذا الملك الضليل المعتوه (أكبر) هو الله ! فكان  
من أثر كل ذلك أن أصبح عصر هذا الملك المأفون ( ٩٦٤ -  
١٠١٤ هـ ) عصر بلاء ومحنة للإسلام والمسلمين في هذه الديار ،  
اتسع فيه الخرق على الراقع وجاوز السيل الزبي . فاضطهد من  
اضطهد من عباد الله ، وحبس من حبس ، واعتقل من اعتقل .  
إلا أنه مما يؤلم القلب ويدمع العين أنه قد زلت في هذه الفتنة  
العمياء أقدام الخاصة والعامة ولم ينبج من شرها حق من كان يعد  
من كبار العلماء والفقهاء في ذلك العصر ، فلم يثبت في تلك المحنة  
الكبرى إلا عدد قليل منهم جداً . أما جمهور العلماء والعدد  
الغالب منهم ، فقد استسلموا لأمر الملك وجبروت السلطان القاهر  
ولم يتحرجوا من التوقيع على المحضر ، الذي ادعى للملك العصمة  
وخوسله الحق في وضع الشريعة . ومن أجمل ذلك قال الإمام

المجاهد أحمد بن عبد الله السرهندي (المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ) الذي سوف نذكر من جهاده المبرور وواقفه المجيدة في مقاومة هذه الفتنة العمياء ما تقربه عينك ويشلج له فؤادك إن شاء الله ، قال رحمه الله ونضر وجهه يوم القيامة :

« وما لا مجال فيه للشك أن كل ما وقع من المداهنة والتخاذل في الأحكام الشرعية في هذا الزمان ، وما ظهر من الفساد والوهن في نشر الدعوة الالهية وإبقاء مآثرها في هذا العصر ، إنما يرجع سببه إلى علماء السوء الذين هم لصوص الدين وشر من تحت أديم السماء . أولئك حزب الشيطان . ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون . »

هذا برض من عدس ، وغيض من فيض ، من تلك الفتنة العمياء التي مئى بها الإسلام والمسلمون في هذه البلاد في القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر للهجرة ، والتي كادت تأتى على بنيان الإسلام من القواعد ، لولا أن تدار كته رحمة من الرب العلى العظيم . فقد جرت سنة الله فى خلقه أن اشتداد الظلام وازدياد الحلمكة يؤذن دائماً بانبثاق الفجر وانبلاج الصبىح المشرق ، وما زالت ظلم الحوادث مطالعاً لأنوار الحق وبزوغ شمس الهداية : إذا الظلام عتا ، تبلج فجره . ظلم الحوادث مطلع الأنوار

٤ - المجدد السرهندي (٩٧٧ - ١٠٣٤ هـ) :

لما آل الأمر إلى ما تقدم بيانه من غربة الإسلام في هذه البلاد، والتضييق على المسلمين واضطهادهم، وأصبح مثل القابض على الذين من بينهم كمثل القابض على الجمر، وقف الرجل الذي قبض الله له أن يقف في وجه هذا الطاغية وأنصاره الضالين المضلين، ويرفع لواء أفضل الجهاد، ويصدع بكلمة الحق، ويكبح جماح غوايتهم، ويقضى على بدعهم وشروهم قضاء مبرماً. فقام الإمام المجاهد العالم الزاهد الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندي (١) الملقب بمجدد الألف الثاني للهجرة (٢) بالجدارة والاستحقاق، وشمر عن أذياله لمقاومة الفتنة الأكبرية ورد مكائد أعداء الإسلام، وتهذيب نفوس أهل الغواية، وجاهد في ذلك جهاداً موفقاً مبروراً حتى أنجحه الله في مساعيه، وأعاد

---

(١) نسبة إلى (سرهند) بين دهلي عاصمة البلاد الهندية وبنجاب، وفيها قبره يزار ويتبرك به.

(٢) والطريقة المنسوبة إلى الشيخ، هي الطريقة المجددية، وهي وإن كانت أبعد الطرق عن البدع والخرافات فقد تطرق إليها بعض الغلو من الذين نسبوا إليه الكرامات الخارقة وعزوا إليه أقاويل وأعمالاً لا يشك عقلاؤهم في براءته منها.



للإسلام في هذه الديار أيامه الغر السالفة ، فارتفعت كلمته من جديد وأصبح المسلمون في أمن على دينهم وعقائدهم .

نشأ الشيخ أحمد السرهندي في الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة ، حينما شرع الملك ( أكبر ) في نشر تعاليم الخبيثة وآرائه الباطلة والدعاية لها ، فانتبه للأمر في أول وهلة ، وجعل يراقب الأحوال عن كثب ، وأخذ يعد عدته لمقاومة الفتنة ومحاربتها . فقام بدعوة واسعة بين جميع طبقات الشعب وبث أتباعه ومريديه في طول البلاد وعرضها ، وكتب إلى أمراء الجيش ورؤساء الدوائر الحكومية من آنس فيهم رشداً ، ينبههم من نوم الغفلة ، ويلفت أنظارهم إلى ما أتت به الفتنة الأكرية من مصيبة وبلاء للدين الحق وما جرته من وبال على المسلمين . وما زال بالأمر يجد ويجتهد في نشر الدعوة ومحاربة البدع والمنكرات ، إلى أن نجحت مساعيه وأثمرت شجرة جهاده وآتت أكلها . فاستبشر بذلك المسلمون استبشاراً ، وعاد للإسلام مجده ورواؤه في بلاد الهند ، إلا أن نتائج الدعوة هذه ما ظهرت إلا بعد وفاة ( أكبر ) ، حينما كانت الفتنة في إبان شبابها في زمن ابنه الملك جهان كير ( ١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ ) ، والمسلمون والدعاة إلى الإسلام يضطهدون ، شأنهم في عصر الملك ( أكبر ) ، حتى

أن الملك الخلیع ( جهان کیر ) أمر بحبس الشيخ السرهندی فی حصن کوالیار مدينة فی قلب الهند . ومن أعاجیب أمر الله فی خلقه أن هذا الحبس انقلب نعمة عظيمة للدعوة الإسلامية فی الهند ، فانه لم یض علی دخول الشيخ فی الحصن — السجن — إلا أيام قلائل حتی تبدلت أرض الحصن غیر الأرض ، وصار الجناة من السارقین وقطاع الطرق یصلون ویسجدون ، وأصبحوا یأتمرون بأوامر الشيخ ویؤدون واجباتهم الإسلامية أداء لم یشاهد مثله من أمثالهم من قبل . فتنبه لذلك مدیر السجن وكتب إلى الملك یخبره أن المحبوس — الشيخ السرهندی — لیس من شأنه أن یسجن ، وإنما هو ملك قلما ینجب الدهر مثله . فإن رأى الملك أطلقنا سراحه وأکرمناه بما یمتحنه . فندم الملك <sup>(١)</sup> علی ماظهر منه من بوادر الشدة فی شأن الشيخ ، وأمر بإحضاره إلى مقر المملكة . ولما بلغه خبر دنوه من العاصمة بعث الأمير ( مخرام ) ولی عهد المملكة — الذی اعتلی سریر الملك بعد وفاة أیه وتلقب بـ ( شاه جهان ) — لاستقباله والترحیب بمقدمه .

---

(١) وقیل ان الملك رأى فی ما یرى النائم؛ أن الرجل قد ظلم وأن رجلاً صالحاً یقول له وهو عاض علی یده « ویحک ! قد حبست رجلاً لآثری مثله فی الصلاح والورع » .

وكان أن جاء الشيخ إلى العاصمة وحضر باب الملك فسلم على الملك وعلى حاشيته وحياتهم بتحية الاسلام ولم يسجد له ، شأن الناس يومئذ . فتحمل ذلك منه الملك وتلقاه بالترحاب ، وأصر عليه بالبقاء في البلاط الملكي ، حتى يتسنى له أن ينتفع بنصائحه ويفيد الخير والفضل من مجالسه . فأقام الشيخ أياما في البلاط الملكي ، وكان من نتایج مساعيه المشكورة ومواعظه البالغة أن رضی الملك بإلغاء كثير من البدع والمنكرات التي كان قد ابتدعها أبوه الطاغية الملك ( أكبر ) ، فأصدر الأمر الملكي بالأمور الآتية المهمة :

( ١ ) تحريم السجود للملك .

( ٢ ) الأذن بذبح البقر . وقد كان الطاغية ( أكبر ) حرم ذبحه ، تودداً إلى الوثنيين ، عباد البقر .

( ٣ ) تعيين القضاة ورجال الحسبة في كل بلدة .

( ٤ ) إعادة بناء المساجد المهتمة .

( ٥ ) إبطال القوانين المعارضة للشريعة الاسلامية .

فحصلت بذلك نهضة للدين جديدة ، واستبشر به المسلمون استبشاراً عظيماً . وزال عنهم ما أصابهم من الهم والغم لأجل

الاضطهاد في أمور الدين والتضييق عليهم في أداء واجبات الشرع .

وللسيد المجدد ، سقى الله ثراه وأفاض عليه من ببحال رحمته ، أعماله جليلة أخرى وجهود مشكورة زاهرة ، لا يسع المقام ذكرها والأفاضة في بيانها ، إلا أننا نرى من واجب المؤرخ وأمانة الراوى أن نشير إلى ثلاث نواحي مهمة سعى فيها المجدد سعيه ، وبذل في سبيلها الجهد المستطاع .

(١) فأول ما اهتم به السيد المجدد وبذل جهوده فيه إصلاح شأن الحكومة ورجالها والقائمين بأمرها والمتصرفين في شؤونها ، لأنهم هم العمدة ، فإذا صلحوا صلحت البلاد كلها ، وإذا فسدوا فسد المجتمع برمته . وقد نجح في ذلك نجاحاً ملموساً .

(٢) والثاني أنه رأى بشاقب فكره وواسع علمه أن كل ما يتابع من العوائب على المسلمين في عصره ، وجميع ما أصيبوا به من ذلة في الدين وهوان لشعائره الكريمة ، إنما تعود تبعته في الغالب على علماء السوء الذين تهافتوا على حطام الدنيا الدنيئة ، واشتروا بآيات الله وأوامر رسوله ثمناً قليلاً ، فشوهوا سمعة الدين وكانوا مثل سوء لآمتهم وبني جلدتهم ، حتى أصبح الناس

يسيئون الظن بالدين نفسه . فوقف السيد المجدد موقفاً كريماً  
وجاهد جهاداً مشكوراً للكشف عن عورات علماء السوء وجرد  
قلمه للرد على بدعهم وأباطيلهم التي اخترعوها وابتدعوها من  
تلقاء أنفسهم ونسبوها إلى الدين كذباً وزوراً .

(٢) والثالث أنه شاهد بأم عينه أن الذين يتسمون بسمة  
الصوفية في عصره ، قد تأثر أكثرهم بفلسفة البراهمة وجعلوا  
يقولون بأنواع من العقائد الباطلة والمزاعم الفلسفية الضالة المضلة  
كوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها مما لا يمت إلى الدين  
بصلة . وكذلك رأى - وهو قد نشأ وترعرع بينهم ودرج في  
عشهم - أن معظم هؤلاء الصوفية فلما يهتمون بالشريعة ويتبعون  
أوامرها ، وإنما جل اعتمادهم على أقاويل مشايخهم وما تسلسل  
إليهم من شيوخهم الأقدمين من الأخبار والأقاصيص التي ليست  
من الدين في شيء . فقام السيد المجدد قومته الجبارة في الرد على  
هؤلاء القوم وتفنيد أباطيلهم وإدحاض شبهاتهم ومزاعمهم .

ومن أهم مارد عليهم وبالغ فيه ، عقيدة وحدة الوجود ،  
فقد بلغ الأمد أنصاه في إبطال هذه العقيدة الواهية ، ونقض  
أقاويل ( ابن عربي الطائى ) رئيس القائلين بالوحدة وإمامهم .  
وهذه مکتوباته ورسائله مشحونة بالبحوث القيمة الدقيقة في

هذا الشأن ، لا يمكن استيفائها في هذه العجالة . وإنما استقصيناها ووفينا حقها في موضع آخر (١) .

وجملة القول أن دعوة الاسلام في الهند كانت سائرة ببطء إلى أن ظهر الملك أكبر ( ٩٦٤ — ١٠١٤ هـ ) . فأراد أن يقضى عليها ويستبدل بالاسلام نحلة جديدة مبتدعة ، فكان ما كان من البدع والمنكرات والتضييق على الاسلام واضطهاد المؤمنين بدعوته ، المعترزين بما أثره . وظل الأمر على ذلك في عصر ( أكبر ) وشرطاً من زمن ابنه جهان كير ( ١٠١٤ — ١٠٣٧ ) . إلى أن نجحت دعوة الشيخ أحمد بن عبد الأحـد السرهندي ( المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ ) والملقب بمجدد الألف الثاني ، فعاد للإسلام مجده ورواؤه في بلاد الهند ، وأصبح مسلموها في أمن على دينهم وأخلاقهم وأعزازهم .

### ٥ — بعد السيد المجدد :

١ — الشيخ عبد الحق الدهلوي ( ٩٥٨ — ١٠٥٢ هـ ) :

ومن كانت لهم يد في تأييد الدين ، ونشر تعاليمه الصحيحة ،

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند للمؤلف .

وتعميم السنة النبوية ، الشيخ عبد الحق الدهلوى (١) الذى كان معاصراً للسيد المجدد ؛ وهو الذى أحيا علم الحديث فى شمالى الهند وسعى سعيه فى نشر معارفه وبث خيراته . فآلف مؤلفات عديدة فى الحديث وما يتصل به من العلوم ، وشرح ( مشكاة المصابيح ) بالربية والفارسية معاً . والذى يدلنا عليه تاريخ القرن الحادى عشر للهجرة والذى بعده أنه كان لمساعيه وجهوده المشكورة أثر محمود فى نشر السنة وتقريبها الى أذهان الناس الغافلين عنها . والامة يومئذ كلها كانت فى غفلة عن كنوز السنة النبوية ، إلا من رحم ربك .

هذا ، وقد أشرنا الى مساعى الشيخ عبد الحق فى هذه العجالة بوجه خاص ، والحال أننا لم نذكر شيئاً من جهود العلماء الذين سبقوه ، مع أن أعماله ما جاوزت حدود التدوين والتأليف

---

(١) ولد سنة ٩٥٨ هـ فى دهلى ، عاصمة الهند وأخذ عن والده ، ثم ارتحل الى الحرمين وصحب الشيخ عبد الوهاب المتقى الهندى ( المتوفى سنة ١٠٠١ هـ ) الذى استوطن الحجاز وقرأ عليه الكتب الستة ، ثم عاد الى الوطن واستقر به وما زال يخدم السنة النبوية وينشر العلم الى أن استأثرت به رحمة الله سنة ١٠٥٢ .

ولم تدخل في دائرة الجهاد العملي على غرار السيد المجدد . وذلك أن الذين تقدموه من العلماء ، انحصرت جهودهم في تدريس كتب في المنطق والفلسفة اليونانية أو العكوف على أسفار في فروع الفقه الحنفي ، مما لم ينفع الدعوة في قليل ولا كثير ، بل ان اشتغالهم بعلوم اليونان البالغة وانصراف همهم عن دراسة الكتاب العزيز والسنة النبوية ، واكتفاءهم بكتب في فروع الفقه ، كل ذلك أضر بالدعوة الإسلامية في الهند وحال دون استجلاء جمهور المسلمين لوجه الحق المبين واطلاعهم على مزايا الدين الحقيقية . أما الشيخ عبد الحق ، فكان جل اشتغاله بالسنة ونشر تعاليمها وتدريس متونها وتأليف شروحاتها ، فهو أول رجل في شمالي الهند وقف نفسه لخدمة السنة النبوية وبث معارفها وتنشئة الناس على العلم بها والعمل ، فله منة في أعناق المسلمين لا تنسى ، ويد على الدعوة تذكر ، ولسان الشاء تؤثر . فان ذبوع السنة النبوية والاشتغال بدراستها وتداول متونها وشروحاتها مما يقرب الناس الى الدين الصحيح ويدنهم من معينه الصافي .

ب — الملك أوزونك زيب ( ١٠٦٨ — ١١١٨ هـ )

ومن كانت لهم يد نافذة في تثبيت قواعد الدين في الهند



وإعلاء كلمته وتطهيره من أدران الزيف والالحاد التي لصقت بها في العهد الأكبر المشؤوم ، الملك الصالح الزاهد أبو المظفر محي الدين عالم كير أورنك زيب الذي تولى الأمر بعد أبيه سنة ١٠٦٨ ، وساس البلاد خمسين سنة كاملة مثل جده الأعلى ( الملك أكبر ) ، المعروف بزندقته وإلحاده . لكنه يفوق جده الأكبر من ناحية الملك وتدير المملكة أيضاً ، لأن الملك ( أكبر ) جاءه الملك وهو طفل لم يبلغ الحلم ، فتولى الأمر أحد أعيان المملكة بضع سنين نائباً عنه ، حتى بلغ أشده وأخذ زمام الأمر بيده . أما الملك الصالح أورنك زيب - ابن شاه جهان بن جهان كير ابن أكبر - فتولى الحكم لما كان ابن أربعين سنة وهو مُسَنِّجِدْم في الحروب ، عارف بأساليب السياسة ومكايدها ، وقد مارس قيادة الجيوش وولاية المقاطعات النائية المتمردة في عهد أبيه . وكذلك بقي يعالج جميع مهام الحكومة بيده ، ويقود الجيوش ، وينفذ القوانين وهو شيخ جاوز العقد التاسع من عمره ، الى أن وافاه الأجل المحتوم وهو على رأس معركة حاسمة في أقصى الجنوب ، بعيداً عن العاصمة بألف ميل أو أكثر ، ولا يزال قبره في أورنك آباد - مدينة في داخل ولاية حيدر آباد دكن - شاهداً على ذلك . فهو يعد آية خارقة للعادة من ناحية الدهاء

والشجاعة ومضاء العزيمة وسداد الرأي ، إلا أن الذى يهمننا من سيرته فى هذا المقام تلك الخصائص الجليلة التى يمكن أن تعد مفخرة لكبار ملوك العالم ، ويعيننا من أعماله ومواقفه الجليلة فى هذه العجالة موقفه العظيم الحاسم الذى وقفه بازاء البدع والمنكرات والضلالات التى نجم قرنهما فى عهد الملك ( أكبر ) وبقيت آثارها بادية وبقاياها ظاهرة فى المجتمع مدة من الزمان ، على ما بذله المصلحون أمثال السيد المجدد من الجهود الموفقة والمساعى المشكورة للقضاء عليها واستئصال شأقتها . نعم ، يعيننا من أعماله ومواقفه العظيمة فى هذا المقام ، ذلك الموقف الحاسم والأعمال الجليلة الخالدة التى قام بها فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمتها والتى حبيته إلى قلوب المسلمين ورفعت ذكره وأعلت مقامه بين الملوك ورجال العلم فى هذه الديار . ومن هنا تعرف السبب الذى حمل جمهرة مؤرخى الأفرنج وكتاب الهنادك على مدح الملك الزنديق ( أكبر ) وإطرائه والثناء عليه والطنن فى الملك المسلم العادل الورع ( أورنك زيب ) وإطالة لسان القدح فى سيرته وأعماله الجليلة الباهرة .

فن حسناته ومآثره انه ألغى جميع البدع والمنكرات التى روجها ( أكبر ) ونقضها عروة عروة . ودونك بيانها :

(١) ألغى التقويم الالهى الذى كان استبدله الملك (أ كبر) بالتقويم الهجرى الاسلامى .

(٢) أذن للمغنين فى أول عهده بالملك أن يحضروا البلاط الملكى بشرط أن يمتنعوا عن الرقص والغناء ، وبعد قليل حظر عليهم ذلك أيضاً .

(٣) منع الاحتفال بعيد رأس السنة الشمسية الذى كان يقيمه (أ كبر) ويحتفل به ، لإرضاء للمجوس وتقليداً لشعائهم .

(٤) كان من عادة بعض الملوك من آل تيمور أن يظهروا للناس من شرف قصورهم كل صباح ، لتمتع الرعية بالنظر الى وجوههم كما هى عادة الملوك الوثنيين مع رعاياهم ، اذ كانوا يعبدون ملوكهم ويقدمونهم كآلهة ، فقطع (أورنك زيب) هذه العادة .

(٥) وكان من دينهم أن يزونا أجسادهم بالذهب والجواهر الغالية ويتصدقوا بها على الفقراء ، زعماً منهم أن هذه الصنعة تقيهم نوائب الدهر وموبقاته . فالغايا الملك الزاهد

(٦) عزل المنجمين عن وظائفهم وألغى هذا المنصب بتاتا . وكان مما جرت به عادة من سبقه من الملوك أن يكون لهم

منجمون ، يرجعون اليهم في النوائب ويستشيرونهم إذا ألم بهم أمر أو حل بهم مكروه .

(٧) وقد علمت أن الملك (أكبر) كان أباح بيع الخمر علناً ، ثم نسخها ابنه (جهان كير) ، لكنه لم ينجح لأنه كان مدمناً للخمر سكيراً ، ولذلك أباح للناس أن يتعاطوها في بيوتهم ، أما ابنه (شاه جهان) فقد تشدد في هذا الأمر حتى نجح في منع المسكرات إلى حد ما ، إلا أنه استثنى النصارى من هذا القانون وأباح لهم أن يشربوا الخمر كيفما شاءوا .

ولما اعتلى صاحبنا سرير الملك وأخذ زمام الأمر بيده ، صرف همه إلى هذا الأمر بوجه خاص ، واعتزم أن يجتث شجرة الشر من جذورها ، وافرد لذلك مصلحة خاصة وعين لها موظفين وعمالاً يراقبون مرتكبيها رقابة شديدة ويعاقبونهم عقاباً صارماً . وهذه مأثرة من مآثر الملك العادل لا يقدر على جحودها حتى ألد أعدائه من الهنادك والافرنج .

(٨) منع المقامرة منعاً باتاً .

(٩) صدر الأمر الملكي للبغايا والراقصات بأن يتزوجن أو يخرجن من حدود المملكة .

هذا غيبض من فيض وقليل من كثير من أعماله الجليلة العظيمة التي أداها في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع شأنها في البلاد الهندية . وفي هذا القدر كفاية للطلاب المستبصر . ومن شاء التفصيل ، فليراجع كتابنا المفصل في هذا الموضوع .

### ج - نظام الحكم في عصره :

أما نظام الحكم في عصره فقد بقي على ما كان عليه في عهد آباءه ، شخصياً أرستقراطياً ، فالأمر والنهي كله بيد الملك الذي ورث الملك عن أبيه وهو عازم على أن يرثه عنه ابنه من بعده ، وأنت تعرف أن هذا الملك الشخصي الأرستقراطي ليس من الاسلام في شيء . وأحسن ما في سيرة هذا الملك الزاهد العادل أنه بقي مستمسكاً بعروة الشريعة الوثيقة ، منفذاً لأحكامها وأوامرها ، زاهداً في المعيشة الذاتية ، متورعاً في خلقه وأعماله مع كونه في الوقت نفسه حريصاً على نظام الحكم الأرستقراطي الذي ورثه عن آباءه . فكأنى به أراد أن يجمع بين طرفي النقيض من حيث يشعر أو لا يشعر ، لأن الاسلام لا يعترف للأمير أو الخليفة بالسلطان المطلق ، ولا يسمح بذلك في حال من الأحوال . والممالك الاسلامية في الهند كلها كانت أرستقراطية

لاتمت الى نظام الحكم الاسلامى بصلة ، وإنما كان يختلف ضررها وبنقص ويزيد باختلاف الملوك ونزعاتهم وميولهم الشخصية . فاذا اعتلى مرير الملك رجل صالح مثل ( فيروز تغلق ) أو ( أورنك زيب ) نفقت سوق العدل وجرى العمل بقانون الشريعة وظهرت كلمة الحق . واذا استبد بالامر طاغية مثل ( أكبر ) وأراد أن يكيد للاسلام ويتربص به الدوائر ، عمت الظلمة وانتشر الضلال ونجم قرن الإلحاد والزندقة .

٦ - الامام ولى الله الدهلوى ( ١١١٤ - ١١٧٦ هـ ) :

نحن الآن فى مطلع القرن الثانى عشر للهجرة ، وقد توفى الملك الزاهد أورنك زيب سنة ١١١٨ هـ وخلف من بعده خلف كان كل نال منهم أضعف بأساً وأوهن عزيمة من سابقه ، فما كاد يمضى على وفاته نصف قرن ، حتى تضعضعت دعائم المملكة ، وثار الامراء وولاية المقاطعات على الحكومة المركزية واستبدوا بالامر من دونها . وكذلك تطلع أمراء الهنادك وزعمائهم الى استرداد ملك آباؤهم ونجمت طوائف جديدة فى مختلف أقطار البلاد تجاذب الحكومة المغولية بحبل ولا تكاد تدعن لأمرها . أما جمهور المسلمين فلم يُعنَ الملوك ورجال

حاشيتهم بتربيتهم ، ولم يهتموا بتثقيفهم وتانشئتهم على الأخلاق الإسلامية الزاكية ، بل جعلوهم عالة على الحكومة يتطفلون على مائدتها ويتكففون لرفادتها ، حتى لا تنشأ فيهم حركة تتحدى الحكومة وتثيرهم الأهالي للوقوف في وجه طغيانهم وجبروتهم .

أما المشايخ والصوفية ، فكأنى بحمود السيد المجدد ومؤلفات الشيخ عبيد الحق لم تنفعهم ولم تؤثر فيهم إلا قليلاً . فالمتصوفة لم تزل على حالها مرتظمة في أحوال الحلول والوحدة ، عاكفة على رسوم وشعائر لاصلة لها بالاسلام . والعلماء لا يتجدد يعنون بدراسة القرآن العظيم والحديث النبوى الشريف ، فهم لا يزالون كما كانوا من قبل عصر السيد المجدد والشيخ عبد الحق ، مكتفين بتدريس كتب في فروع الفقه الحنفي ، يؤمنون بها كأنها منزلة من عند الله ، ومعظم استغسالهم بكتب وأسفار في المنطق والفلسفة اليونانيتين وتعليقاتها ومنهياتها (١) . وقد بالغوا في ذلك

---

(١) المنهيات اصطلاح لهم يطلقونه على فقرات ينقلونها من شرح أو حاشية على كتاب في هامش ذلك الكتاب ويختمونها بكلمة (منه) أو (منها) ، أى ان الفقرة منقولة من ذلك العرح أو تلك الحاشية ، ويسمون بمجموع ذلك (منهيات)

مبالغة أنسبهم كل شيء وعدلت بهم عن معين الكتاب والسنة .  
وكذلك أهل الفتيا منهم أصبحوا يقدسون كتب الفقه والتاوى  
واتخذوها قرآنهم وآمنوا بها كالأيمان بالمغيبات ، وأصبح الشك  
في مسألة من مسائلها المدونة يعدل الكفر بالله ورسوله .

وفي تلك الأيام التي وصلت فيها حال المسلمين إلى هذا الدرك  
الأسفل من الانحطاط ، نبغ الإمام ولي الله بن عبد الرحيم  
الدهلوى الذى حمل لواء الإصلاح بيده من جديد ، وأراد أن  
يكمل صرح التجديد الدينى من جميع نواحيه ، فشرع فى مهمته  
بثبات وجلد ، وأخذ فى تنقيح الأفكار وانتقاد الآراء بأناة  
وحكمة . وما زال بالأمر حتى نجح فى تكوين فكرة شاملة  
للإسلام ونظمه ، واهتم بوجه خاص بنشرها وشرحها فى كتبه  
ومصنفاته ؛ وأتاح الله له أن تتخرج على يده طبقة صالحة من  
أبنائه وتلاميذه وتلاميذهم وأتباعهم ، يقومون بالأمر من بعده ،  
وينهضون بالدعوة لاعلاء كلمة الحق ، ويضطلعون بأعباء الدين  
وتعميمه فى أرض الله .

والإحاطة بأعمال هذا الإمام المصالح واستيفاء الكلام فى  
مهمته العظيمة والأفاضة فى بيان آرائه وأفكاره لها موضع آخر



إلا أننا نحب أن نشير في هذه العجالة الى بعض أعماله الجليلة ونومى اليها إيماء :

(١) لقد غلب التشيع على الحكومة المغولية من عصر همايون (المتوفى سنة ٩٦٤) وما زالت طائفة من أمراءها مستمسكة بمبادئه الى أن استفحل أمرهم وعظم شأنهم في عصر جهان كير (١٠١٤—١٠٣٧هـ) واستولوا على مناصب الحكومة الرفيعة ، فكان لذلك تأثير عظيم في انحياز الناس الى التشيع ، وتمكن معتقداتهم ورسومهم من قلوب أهل السنة ومجتمعهم . فقام الإمام ولي الله الدهلوى مدافعا عن أهل السنة شارحاً للطريقة المستقيمة المستبينة ، وألف كتابه الممتع (إزالة الخفاء ، عن تاريخ الخلفاء) ، وأثبت فيه فضل الراشدين المهديين وبين منتهم على الأمة ، علاوة على ما أوضح فيه من خصائص الدولة الاسلامية وأسباب نهوضها وزوالها ، وفصل فيه القول على أسس الحكومة الاسلامية وواجباتها ومسؤولية القائمين بها .

(٢) زعم العلماء أن علم الكلام هو قوام الدين وروحه ؛ ففرههم حقيقة الأمر ، وأرشدهم الى الحق ، وبين لهم أسرار الشريعة وما فى علمى الحديث والفقہ من معان سامية وتوجيهات

حكيمه . وكان من أثر ذلك أن تنبه العلماء لفساد الرأى الذى كانوا عليه منذ سبعة قرون .

(٣) ولقد علمت مما سبق عن حال المدارس الهندية الدينية ، أن العلماء والمشايخ قلما كانوا يهتمون بدراسة الكتاب العزيز وتدبر معانيه ومبانيه والوقوف على حكمه وأحكامه ، فأرشدتهم الى هذا الموطن الضعيف من منهاجهم وشرح لهم مبانيه ومعانيه وبحث معارفه وحقائقه وصنف كتاباً جامعاً فى أصول التفسير ، حتى أصبح القرآن الكريم عندهم يقرأ لدراسته وتدبر آياته والاهتداء بهديه .

(٤) كان العامة يجهلون اللغة العربية جملاً باتاً ، فترجم لهم ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته باللغة الفارسية — اللغة الرسمية يومئذ — ليفهم العامة معناها عند تلاوة القرآن بأصله العربى . ثم تابعه أبناؤه من بعده . فترجم الشاه رفيع الدين ( المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ ) والشاه عبد القادر ( المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ ) ألفاظ القرآن ومفرداته بالاردية . والترجمة الاخيرة لا تزال مرجعاً للخاصة والعامة فى هذه البلاد ، على ما فى الاردية الآن من ألوف التراجم .

(٥) كان الفقه الحنفي عبارة عن كتب في الفتاوى للفقهاء المتأخرين ، وكانوا يأخذون بما جاء فيها من غير بصر بمراجعتها وتمييز لغتها من اسميها . وكانوا يقلدونها تقليداً أعمى ، بل كل كتاب صنفه حنفي ، قبل زمانهم معتمد عندهم ، لا يحيدون عنه قيد شعرة . فتمهم هذا الامام المصلح الى ترك التقليد الجماد والأخذ بأقوال الفقهاء بعد البحث والتحقيق ؛ وكان مطلعاً على أقوال الأئمة ، عالماً ببراهينهم وحججهم ، فبين لهم أسباب اختلاف المجتهدين ، وشرح لهم مسألة الاجتهاد والتقليد ، ودعا المسلمين كافة الى الاعتصام بالكتاب والسنة . وكان يسعى للتوفيق بين مذاهب الأئمة ، وان تعذر عاينه ذلك أخذ ما يوافق الأحاديث الصحيحة ورجحه على غيره ، كما لا يخفى على من اطلع على كتابه النفيس ( حجة الله البالغة ) . وفي كتيبه الصغير ( الانصاف في بيان سبب الاختلاف ) بحوث قيمة مقنعة في هذا الشأن .

(٦) بذل أقصى جهده في تعميم علوم السنة في الهند ، فأكمل بمساعيه وجهوده البناء الذي وضع أساسه الشيخ عبد الحق ( المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ ) ، وهو أول من شرح أول كتب

الحديث وأصحابها (الموطأ) لآمام دار الهجرة مالك بن انس  
الاصبحى بالعربية والفارسية . وكذلك شرح تراجم أبواب  
البخارى وصنف رسالة باسمه ، الفضل المبين من حديث النبي  
الامين ، وصنف فى الفقه وأسرار الحديث كتابه الممتع الخالد  
السائر ، حجة الله البالغة ، الذى أشرت اليه آفنا ، واهم الحق  
انه كتاب فريد لا نظير له فى بابه .

### أنجاله وتلاميذه :

ومن منن الله ونعمه السابغة عليه أن رزقه أنجالاً بررة ، كل  
منهم طود علم راسخ ، وقد أفادوا جماً غفيراً من الناس ، حتى  
نهلت أرض الهند من علوم الكتاب والسنة وعلت . والذى  
فشاهده اليوم من ذبوع علوم القرآن والسنة وانتشار التعاليم  
الدينية الصحيحة إنما يرجع فضله الى الإمام ولى الله وأنجاله الفر  
الميامين النجباء . فلا تجد اليوم فى الهند أحداً ممن له نصيب فى  
العلم إلا وهو يمت بسبب الى هذا البيت العلى الكريم . وكذلك  
نبغ من أحفاد الامام وتلاميذ أبنائه وتلاميذهم رجال نوروا  
أرجاء الهند المظلمة بأنوار الكتاب والسنة وأضاءوا جوانبها  
بمصابح العلم والتقى . فالحقيقة التى لا مرأ فيها أن كل ما ظهر فى

هذه البلاد من تباشير الاصلاح والتجديد ، وما تم على أيدي العلماء والمجاهدين من أهلها من خدمات للدين عظيمة منذ القرن الثاني عشر للهجرة الى اليوم ، إنما هو من ثمرات تلك الدوحة الزكية التي غرسها الامام ولي الله وتعهدها بالسقى والتشذيب أبناءه وتلاميذه وتلاميذهم من بعده .

وان ننس ، لا ننسى من بينهم أنجاله الأربعة والكواكب النيرة : الشاه عبد العزيز<sup>(١)</sup> ( ١١٥٩ — ١٢٣٩ هـ ) والشاه رفيع الدين ( ١١٦٣ — ١٢٣٣ ) والشاه عبد القادر ( المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ ) والشاه عبد الغنى ( المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ ) وسبطه الشاه محمد إسحاق ( المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ ) وحفيده الشاه اسماعيل الشهيد ( المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ ) . ولكل من هؤلاء مصنفات سائرة مسير الشمس ، لا تزال تضيء ظلمات الريب وتمتلك ستور الزندقة ، وتنور حلك الزبغ والاحقاد ، إلا أن أكبرهم

---

(١) ( شاه ) كلمة فارسية ، معناها ( الملك ) يلقب بها الصوفية والمشايخ . ولما كان بيت الامام ولي الله أيضاً من بيوت التصوف والطريقة منذ القديم فقد لقب هو وأبوه وأنجاله كلهم بهذا اللقب .

— الشاه عبد العزيز — كان يعد خليفة أبيه ووارث علومه .  
وكان من قدر الله أن توفي بعدهم جميعاً . أما أصغر أنجاله  
— وهو الشاه عبد الغني — فقد استأثرت به رحمة الله وهو  
حدث لم يكده يخدم الدين والآلة بشيء يذكر ولذلك لم تدون  
أخباره في بطون التاريخ ؛ إلا أن الله رزقه مولوداً كان غرة  
في جبين الإصلاح الديني في الهند ودرة في تاج هذا البيت  
العظيم ، وهو الامام الشهيد المصالح ، الشيخ اسماعيل بن عبد الغني  
ابن ولي الله ، وسبذكر فيما يلي جملة من خدماته ومآثره الجليلة  
الشان

### ٧. الإمامان الشهيدان :

السيد أحمد وإسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله :

هذا ، وقد عرفت على وجه الإجمال أن كل ما ظهر من  
أمارات التجديد والإصلاح وتباشير اليقظة والنهضة الدينية في  
الهند ، يرجع الفضل فيه الى الإمام ولي الله الدهلوي وأنجاله  
المنجباء وتلاميذه الكرام ، وقد فاتنا أن نشير الى أن مساعي  
الإمام ولي الله وجهوده المشكورة . قد بقيت منحصرة في تنقيح  
الافكار وانتقاد الآراء وتمهيد السبيل وتذليل العقبات للحركة

الشاملة لإقامة الدين وتنفيذ مشروع التجديد الديني في جميع نواحي الحياة البشرية ، ولم يتمكن بنفسه من الشروع في تلك الدعوة الشاملة والحركة الخطيرة . وكان ذلك أمراً طبعياً لتقدم العهد بتلك الدعوة المباركة وتمكن داء الجود والتقليد من عقول الناس واستيلاء الخوف والجبن على نفوسهم . ولكن بما لا مجال فيه للريب أن مؤلفات الإمام ولي الله ، ومساعيه المشكورة في تنوير الأذهان ، وجهوده الميمونة في صقل الأفكار وتقويم أود الآراء الزائفة ، قد هيأت القلوب لقبول الدعوة ، والنفوس للبذل والتضحية ، والعقول للتحرر من ربة الجود والتقليد الاعمي .

وكان من أثر كل ذلك أنه لم يمض على وفاته من طويل ، حتى نبغ من بين أحفاده وتلاميذ أبنائه من قام بدعوة الإسلام الشاملة وسعى سعياً لاغلاء كلمة الله وتنفيذ الشريعة الإلهية في الأرض وجاهد في ذلك جهاداً مبروراً . أريد بها تلك الحركة العظيمة الشاملة العامة والدعوة الدينية الجامعة الخاصة التي حمل لواءها واضطلع باعبائها الإمامان الشهيدان والكوكبان النيران :

السيد أحمد بن عرفان<sup>(١)</sup> والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله<sup>(٢)</sup> فى النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة النبوية . ولعمر الحق إن دوحه الاصلاح والتجديد التى غرسها المجدد السرهندى بيده وسقاها الامام ولى الله بعلمه وفكرته الناضجة ، ما أثمرت وآتت أكلها إلا بالخطوات العملية الجبارة التى رسمها الإمامان الشهيدان للبذل والتضحية وبمساعى أصحابها المتواصلة المتتابعة التى بذلوها فى هذه السبيل وبالدماء الزكية الطاهرة التى أراقوها فى سهول الهند وجبالها ، تبيننا لمعالم الاسلام وإحياء لنظمه الشاملة ودفاعاً عن حظيرة الملة الحنيفية البيضاء .

---

(١) المولود فى بيت من أنجب بيوتات الهند وأشرفها علماء ونسباً سنة ١٢٠١ هـ ؛ تلمذ على الشيخ عبد العزيز بن ولى الله وبعض إخوته ، ثم اشتغل بالدعوة والجهاد الى أن مات شهيداً فى معركة دامية ، وذلك عام ١٢٤٦ هـ . رحمه الله رحمة الابرار الصالحين من عباده ونضر وجهه يوم القيامة .

(٢) ولد سنة ١١٩٣ هـ وتخرج على يد أعمامه ، ثم صحب الإمام السيد أحمد بن عرفان وبايعه على الجهاد ، وكان ملازماً له وزيراً فى جميع شؤون الدعوة والجهاد الى أن توفى شهيداً مع شيخه فى معركة دامية ، رحمه الله ورضى عنه وأسكنه فراديس جناته .

(٣) وذلك خلال سنة ١٢٣١ وسنة ١٢٣٦ هـ



قام السيد أحمد بن عرفان وأصحابه بالدعوة باديء ذي بدء في داخل الهند ، يدعون الناس إلى الرجوع إلى كنف الشريعة واجتناب البدع والانسلاخ عن عوائد الوثنية ورسوم الشرك الجاهلية المتغلغلة في حياتهم الاجتماعية . وقاموا لذلك بجولات واسعة في جميع أنحاء البلاد (١) وكان من تأثيرهم أنهم كلما دخلوا مدينة أو قرية ، هرع أهلها لاستقبالهم والترحيب بهم والاستماع إلى مواعظهم . ثم سافروا إلى الحجاز تأدية لفريضة الحج وتوطئة وتمهيداً للاضططلاع بأعباء الجهاد والحركة الشاملة التي كانوا يريدون القيام بها في الحدود الشمالية الغربية ، حينما بلغهم خبر استفحال أمر السيك (٢) واضطهادهم للمسلمين . فكان حجاً

---

(١) وذلك خلال سنة ١٢٣١ و سنة ١٢٣٦ هـ .

(٢) السيك ( Sikh ) طائفة من الهنالك أنفسهم ، تحولت إلى نخلة مستقلة . ومن أعاجيب الدهر أن مؤسسها الأول كرو نانك ( Nanak ) المتوفى سنة ١٥٣٣ م كان رجلاً وادعاً مسالماً ، تأثر بكتب التصوفة من المسلمين . لكن الذين ألقبت اليهم مقاليد الأمر من بعده ، حولوا أتباعه إلى جماعة عسكرية قوية الشكيمة شديدة المراس ، فيها من خصال السباع والوحوش الضارية ما جعلهم نظيرها في هذه البلاد ، بل الحق أن الشنائع التي اقترفوها وأنواع الفظائع التي ارتكبوها ربما تستحى منها الذئاب المفترسة .

مبروراً وزيارة مباركة ورحلة ميمونة صحب السيد فيها ألوف من الناس . والذين تشرفوا بصحبته في أثناء الطريق وأفادوا منه ومن أصحابه في عقائدهم وأعمالهم ، والذين أسلموا على أيديهم من غير المسلمين ، يبلغ عددهم مئات الألوف من الناس . وقد استفرقت هذه الرحلة المباركة قرابة ثلاثة أعوام ذهاباً وإياباً (١) فكانت فرصة طيبة لتربية الأصحاب والأتباع وبث الدعوة ونشر المعارف ومكارم الأخلاق . وكذلك كانت نواة صالحة لحركة الجهاد القادمة . وأيضاً كانت هذه الرحلة الميمونة باباً من الجهاد مستقلاً بنفسه ، إذ كان بعض علماء السوء قد أفتى بسقوط فريضة الحج لعدم الأمن وخوف الفتنة في الطريق . فجاءت رحلة السيد الشهيد في هذا الجمع الغفير من الخاصة والعامة حجة على أولئك القوم ودليلاً ناصعاً على خطأ رأيهم .

وما كاد يستقر المقام بالسيد أحمد وأصحابه حتى تسابعت

---

(١) بدأ بالسفر من مسقط رأسه يوم العيد أول شوال سنة ١٢٣٦ هـ (٢ يونيو سنة ١٨٢١ م) وتشرف بالحج في ذي الحجة سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) . وبعد ما أقام بالحرمين زهاء عشرة أشهر ، فارق البلد الحرام في ذي القعدة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) ورجع إلى بلده سالمًا في شعبان ١٢٣٩ هـ (أبريل ١٨٢٤) .

الأخبار من مقاطعة (بنجاب) باضطهاد السيك للمسلمين وتفنيهم في تضيق الحياة على اتباع الدين الحق، وتجاهسهم على هتك الأعراض وقتل الأبرياء والفتك بالشيوخ والعجزة وتجرؤهم على تعطيل الشعائر وإغلاق أبواب المساجد، وجملة القول أن عصابات السيك الذين قوى أمرهم بعد ضعف الحكومة المغولية وامتلاكوا ناصية الأمر في (بنجاب) وما جاورها من الأقطار قبل رسوخ أقدام الانكليز، قد بلغت بهم المهيجية والتوحش وحب الانتقام من أبناء الاسلام أن كادت تضيق أرض (بنجاب) بالمسلمين على سمعتها، وارتفعت أنات المضطهدين وعلت أصوات المنكوبين والمشردين حتى اخترقت حدود (بنجاب) ووصلت إلى مسامع السيد أحمد وأصحابه وأتباعه الذين كان جل همهم في هذه الدنيا أن ينهضوا بالاسلام من جديد ويستميتوا في إعلاء كلمته ورفع شأنه .

فما كان منهم إلا أن استجابوا للنداء المضطهدين والمستضعفين من إخوانهم، ولبوا داعي الجهاد والكفاح في الحدود الشمالية الغربية وطاروا إليها زرافات ورحلانا حتى استقروا بها وجعلوها قاعدة حربهم ومركزاً لدعوتهم . ثم بايع المجاهدون المهاجرون - وفيهم ضفوة علماء الهند الأعلام كالشيخ عبد الحى ختن

الشاہ عبد العزیز والشیخ اسماعیل بن عبد الغنی بن ولی اللہ  
وأضرابہما - السید أحمد بالإمارة والجهاد، وذلك فی ١٢ جمادی  
الآخرة سنة ١٢٤٢ هـ (١١ يناير سنة ١٨٢٧ م). ونشبت المعارك  
واضطربت نيران الحرب وتنابت زهاء أربع سنين، كان  
النصر فيها حليف المجاهدين على قلة عددهم وعُددهم، حتى إنهم  
استولوا على مدينة بمناور العظيمة وأجروا فيها قانون الشريعة  
وبدأ الحكم فيها وفيما يلحقها من القرى والأمصار بموجب الشريعة  
السمحة، وازداد الحجـاهدون بذلك مهابة وإجلالا في عيون  
الأعداء، كما ازداد المسلمون رجاء وأملا في أن يعود للإسلام  
مجده الزاهر لأول مرة في تاريخ الهند المسلمة، ولكنه مما يتألم  
القلب لسماعه وتدمع العين لذكره ولا يكاد القلم يطاوعني لسرده  
وبيانه أن هذه النهضة المباركة وتلك الفتوح الباهرة وذلك الأمل  
المعسول، كلها ذهبت أدراج الرياح وباءت بالفشل والخمران  
لما هب على مجتمعهم من رياح الجهل والغفلة ودب في قلوب  
أهاليها من ديب التفرق والخذلان. وبيان ذلك على وجه  
الإجمال أن علماء السوء والمبتدعة والقبوريين من أهالي الحدود  
الشمالية الغربية ما أعجبهم تمسك المجاهدين المهاجرين بالسنة النبوية،  
وما راقهم اعتصامهم بحبل الدين الخالص ونفورهم من البدع

والخرافات ، فنسبواهم إلى الوهاية والمروق من الدين شأن أهل البدع في جميع الأقطار الإسلامية منذ قرن بل قرنين . وكان ذلك مما جرأ رؤساء العشائر الأفغانية على وضع السيف في رقاب المجاهدين والفتك بهم غدرًا وخدعة ، مدفوعين إلى ذلك بدافع الحرص على الإمارة الفغانية ، والجمود على رسومهم الوثنية الجاهلية التي أراد المجاهدون إصلاحها وتغييرها ، فتحسبوا بذلك إلى أمر السيك والقواد الذين ما انفكوا يتوددون إليهم ويرغبونهم في حطام الدنيا الدنيئة ، حتى يسهل لهم التخلص من وطأة المجاهدين ، وصاروا في مأمن من حملاتهم الصادقة القاصمة لظهورهم . وأخيراً أدرك السيك سؤلهم وظفروا ببغيتهم بمعاونة علماء السوء .

ولما كان ما كان من مقاومة علماء السوء وغدر رؤساء العشائر وقتكهم بالأبرياء من القضاة والعمال والعلماء ومن المجاهدين المهاجرين وتوددهم إلى الأعداء غادر السيدون معه من المجاهدين الحدود الشمالية الغربية وقصدوا بلاد ( كشمير ) وأرادوا اللجوء إلى جبالها وكهوفها ، إلى أن استحرت معركة شديدة بين الفريقين في طريقهم إليها ، في ( بالاكوت ) — موضع بين كشمير والحدود الشمالية الغربية — استشهد فيها الإمامان والعالمان الجليلان السيد أحمد بن عرفان وإسماعيل بن عبد الغنى بن ولي الله

وذلك يوم الجمعة في ٢٤ من ذى القعدة سنة ١٢٤٦ هـ ( ٦ مايو سنة ١٨٣١ م ) . وكذلك نال الشهادة في تلك المعركة عدد غير قليل من المجاهدين من أهل العلم والتقى ، الذين قلنا أنجب الدهر أمثالهم في القرون المتأخرة المظلمة . فلم يكن مشهد ( بالاكوت ) إلا قضاء على الأمانى والأحلام المعسولة ، وبه دفن الأمل في استرداد الحكم الإسلامى فى هذه البلاد لمدة من الزمن لا يعلمها إلا الله . اللهم اغفر لهم وارحمهم واحشرهم فى زمرة المجاهدين الأولين الذين هاجروا وجاهدوا مع نبيك محمد ﷺ .

هذا ، ولا جرم أن دعوة الشهيدى كانت إلى إحياء نظام الإسلام الكامل وإقامة الدين وتنفيذ الشريعة فى الأرض ، كما يظهر من رسائل السيد أحمد الشهيد ومؤلفات وزيره ومساعدته الأيمن الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله . والأمر أشهر من نار على علم ، لا يحتاج إلى إيضاح وبيان ، ومع أن هذه الحركة الشاملة المباركة لم تنجح فى إقامة نظام الإسلام وتأسيس بنيان الحكومة الإسلامية الراشدة المنشودة ، فانها نجحت وأبى نجاح ، فى إيقاظ الحمية الإسلامية وبعث الهمم الراكدة ، فأذكت فى قلوب المسلمين فى هذه البلاد قبس الجهاد والنضال وشجذت عزائمهم للاستماتة فى سبيل إحياء الإسلام ونظمه ، والذى تجده

اليوم من أمارات الإصلاح والتجديد وكل ما نشأ في مسلمي الهند من الحركات الدينية الخاصة والنهضات المستقيمة الراشدة في القرن الماضي، يرجع الفضل فيه إلى تلك الحركة المباركة والدعوة الشاملة التي قام بها السيدان الشهيدان والكوكبان النيران وزملاؤهما وأتباعهما وأتباع أتباعهما من بعدهم .

ومن حسنات هذه الحركة المباركة أنها عممت السنة وكثر إقبال الجماهير عليها بفضلها ، وقد بلغ أتباع الشهيدين في اتباع السنة والحرص على اجتناب البدعة أن قام في وجوههم القبرويون والمبتدعة وأفتوا بتكفيرهم ولقبوهم بالوهابية ، لكن أتباع السيد الشهيد قد بالغوا في نشر السنة المحضنة وبث معارفها وتعاليمها واستخدموا لذلك جميع الوسائل المشروعة استخدموها . وكيف لا؟ وقد سن لهم عالم الجماعة وعلماها الفرد الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى ابن ولي الله سنة حسنة بتأليف كتاب (تقوية الايمان) في التوحيد، الذي أصبح فيما بعد رمزاً للتوحيد وعلماً على اتباع السنة في هذه الديار . والكتاب في موضعه وتأليفه ووضوح بيانه يضارع كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الاحاد ، لمحمد بن إسماعيل الامير البيني ، وكتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب النجدي والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد لمحمد بن علي

الشوكاني - أو يفوق بعضها في دفة البيان ونصوح البرهان .  
نعم قد سن لهم الشيخ إسماعيل سنة حسنة ، فسمارت الجماعة عليها  
من بعده وشعارها نشر السنة واستئصال شأفة البدعة .

الثورة الهندية الكبرى : ( ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م ) :

وبينما كانت حركة التجديد والجهاد سائرة بتودة ووقار في  
داخل البلاد وفيما وراء الحدود الشمالية الغربية ، إذ انفجر بركان  
الثورة في الجيش الهندي ، حيث ثارت الجنود وأرادت أن تبطش  
بالانكليز بطشة تقضى على سلطتهم في هذه البلاد ، فدامت  
الثورة بضعة أشهر ، وكاد الثوار ينجحون في أميتهم ويظفرون  
بعدهم ، لكن الأقدار لم تساعدهم ، واستطاع الانكليز بالجيش  
البريطاني وبمن بقي معهم من الجيش الهندي ، أن يمسكوا بخناق  
الثوار ويطحنهم طحناً ويفتكوا بهم فتكاً ذريعاً . وكان ذلك  
سنة ١٨٥٧ م - ١٢٧٣ هـ .

ثم تسابعت النكبات على الأهالي ، ولاسيما المسلمون منهم  
لأنهم هم الذين كان ييدهم لواء الثورة وكانوا في طليعة الثوار  
في كل مكان . وكذلك هم الذين كانوا ملوك هذه البلاد قبل



الانكليز . فن أجل هذا وذاك ، جعل الانكليز نصب اعيانهم أن يقضوا على البقية الباقية من النخوة والحمية في قلوب المسلمين ، وتذرعوا لذلك بوسائل وأساليب شتى : منها إبعادهم عن مناصب الحكم ووظائف الحكومة ، ومنها إجراء نظام للتعليم لا يوافق طبيعة المسلمين وثقافتهم . وقد بلغ من اضطهاد الحكومة للمسلمين وأهل الرأي منهم أن أصبحت كلمة « الوهابي » عبارة عن التآثر . وذلك أن الجهال والعامه كانوا يلتقبون أتباع السيد الشهيد بالوهابية ، وهم هم الذين كانوا في طليعة كل حركة إصلاحية نشأت بين المسلمين منذ بضع وثلاثين سنة ، فكان من نتيجة كل ذلك أن طرأ الجبن والخوف على المسلمين ، وأصبحوا من أمرهم في مازق لا يحكادون يخرجون منه . فالحكومة تنظر إليهم بعين الريبة ، وجيرانهم الهنادك انتهزوا الفرصة للانتقام منهم والثأر لأنفسهم .

وكان من جراء الفزع والخوف على مستقبلهم ، واضطهاد الحكومة المتتابع لهم ، أن تحولت حياتهم الدينية والسياسية تحولا كاملا بعد الثورة الكبرى ( ١٢٧٣ / ١٨٥٧ ) ، وكأني بهم أنشئوا أمة جديدة ، لاصلة لها بالأمة المسلمة الباسلة التي نشرت ظلال الأمن والدعة في ربوع الهند قرونا عديدة ، والتي قانتك

في صفوف المجاهدين منذ قريب ، ورفعت لواء الحق وأرادت  
أن تعلى كلمة الله في الخافقين .

### السيد أحمد خان

ولما أصبح أمر المسلمين على ما ذكرناه من سوء الحال  
وتشتت البال وتفرق الكلمة والاضطهاد المتتابع من قبل  
الحكومة ، وذاقوا وبال تلك الحال المحزنة المؤلمة ، قام فيهم  
( السيد أحمد خان ) فأراد أن يسد انشلة التي حدثت في حياة  
المسلمين ، ويرقع الخروق التي ظهرت في مختلف نواحيها ، وفوق  
ذلك عزم على أن يزيل سوء التفاهم الذي وقع في قلوب رجال  
الحكومة من جهة المسلمين ، ويقرب ما بينهم وبينها من هوة  
الخلافا .

فنهض (السيد أحمد خان) لهذه المهمة الخطيرة ، وبذل الجهد  
المستطاع لإكمالها ، وكان من أهل العمل والجد ، على ماله من  
دالة على رجال الحكومة لما أسدى لهم من معونة في أخرج  
أيامهم إبان الثورة ، وصرف جهوده في إنقاذ كثير من نساء  
الانكليز ورجالهم من براثن الموت الشنيع . واختار الرجل  
لذلك طريقة التعليم ، ودعا بني قومه إلى التفات على التعليم

العصرى الذى أقبل عليه الهنادك منذ جيلين فتوظفوا فى دوائر الحكومة وأصبحت لهم كلمة مسموعة فيها . فدعا المسلمين إلى التعليم العصرى والاعتطاف من ثمراته الشمية ، وأنشأ لذلك مجلة ، وأسس كلية عليـكره الشهيرة (١) التى أصبحت فيما بعد كلية كبيرة ثم جامعة عظيمة من أعظم الجامعات العصرية فى الهند . وباليته اقتصر على ذلك وحصر دعوته فى ميدان التعليم ، ولكنه — وبالأسف — قد أخطأ من جهتين ذامت الأمة ولا تزال تذوق مغبة ذلك إلى اليوم . فقد أضاف إلى الدعوة التعليمية ، الدعوة إلى قبول حضارة الانكليز وطرق معاشهم ومحاكاتهم فى ما كلهم ومشاربهم وملابسهم ، وكأنى به أراد أن تصبح الأمة متمكنة ، تامة ، حتى تكون عزيزة مرفوعة الرأس بزعمه . هذه إحداهما . والثانية أنه شرع يفسر القرآن برأيه الفاسد ويحرف الكلم عن مواضعه ويؤول كلام الله وأوامر الشريعة حسب ما يجده فى كتب فلاسفة الغرب ومفكرهم من آراء باطلة

---

(١) أسسها سنة ١٢٩٣ هـ وعليـكره مدينة من مدن المقاطعات المتعددة على مقربة من دهلى ، وما بينها وبين دهلى لا يزيد على خمسين أو ستين ميلا .

وأفكار زائفة . فتجراً على إنكار الرق في الإسلام وتعدد الأزواج، وولادة سيدنا المسيح من غير أب، ثم جحد المعجزات برمتها وأنكر وجود الجن ، وتجاسر على التحريف الشنيع في آيات الله المحكمات تجاسراً لا يجترئ عليه رجل له أدنى إلمام بالعربية . ومن البلية أن طريقه في التفسير والتحريف هذا أصبح سنة لمن أتى من بعده من المحرفين والمبغضين المعاندين للإسلام من منكري الحديث والقاديانيين وغيرهم من أهل الأهواء والشهوات . ولا يزال في المسلمين المتفرنجين من يقدر السيد ( أحمد خان ) ويعده المجدد الأكبر للإسلام في هذا القطر .

ولانكر أن للرجل يداً على مسلمي الهند من بعض النواحي، لكنه خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً . ويعلم الله أيهما أثقل وزناً وأرجح كفة في ميزان العدل الرباني؟

دِيُوبَنْد :

وبينما حوادث الثورة الكبرى وما تلاها من الشدائد والأهوال قد أثرت في السيد أحمد خان وأضرابه من جهة وحفزتهم إلى محاكاة الأنكليز وتقليدهم في كل شيء ، كان لتلك

الحوادث نفسها تأثير آخر في قلوب الشيوخ والعلماء ، وكان فيهم من أفتى بوجوب مشاركة المسلمين في الثورة ، وبقية ممن اشتركوا في الجهاد تحت لواء السيد الشهيد ، فانهم رأوا في سياسة الحكومة واضطهادها للمسلمين وانتشار الارساليات المسيحية وتأثر وجهاء المسلمين بفخفخة الانكليز وحضارتهم الفاتنة ، رأوا في كل ذلك خطراً على الدين ومستقبله في هذه الديار . فآثروا فتح المدارس الدينية الحرة وتعميم التعليم الديني المجاني في القرى والأصوار ، بحيث لا تكون للحكومة فيها يد ولا رقابة . فانبثت المدارس الكبيرة والصغيرة في الجوامع والأبنية الخاصة ، كما انتشرت المدارس العصرية في كل مدينة . وأول مدرسة دينية أسسوها مدرسة ديوبند<sup>(١)</sup> — قرية بينها وبين دهلي زهاء ستين ميلاً — فابتدأت بمدرس وطالب ، ثم نمت وترعرعت وتدرجت في الرقي والاتساع إلى أن أصبحت أكبر مدرسة دينية في هذه الأقطار . ولا تزال حية باقية تؤدي واجبها على المنهج القديم لم تتغير ولم تبدل إلا قليلاً . لكن هؤلاء العلماء أخطأوا من جهة أخرى ، فانهم حافظوا على منهج التعليم القديم العقيم الذي

---

(١) تأسست سنة ١٢٨٣ هـ .

وزنوه عن شيوخهم وشيوخ مشايخهم منذ قرون وأجيال ، ولم  
يرضوا بأدنى تغيير ولا تبديل في الكتب والمواد المقررة  
للتدريس أو طرق الألقاء والأملاء والدرس . وكذلك جعلوا  
أنفسهم في عمى عن كل ما يظهر ويتجدد فيما حولهم من الأرض ،  
وكأنى بهم أرادوا أن يعتمدوا بدينهم وعقائدهم ، منزوين في  
جوامعهم وزواياهم ، وهيات أن ينالوا بغيتهم ، فان أعاصير  
الألحاد والزندقة التي كانت تهب بين جدران السكليات العصرية ،  
ما كانت لتذر سكان الجوامع والزوايا في أمنة منها فانهم مهما  
اجتهدوا في إغلاق أبواب الجوامع وإيصاد مصاريعها دون  
زوابع التفرنج والأفكار الأوربية العصرية ، فان هذه الأعاصير  
داخلة في بيوتهم وحجراتهم وزواياهم لا محالة . فإنه ليس من  
قوانين الطبيعة إخماد النيران المضطربة بالسكون والعزلة ، ولادفع  
السيول المتدفقة باللجوء إلى الحجرات والمخادع . وكل من أراد  
ذلك فقد ارتكب الغلطة الكبرى ، وسيذوق مغبتها يوماً ما  
لا محالة .

النزاع بين الفريقين :

فأنت ترى أن كلية عليكره التي قام بتأسيسها السيد أحمد

خان ، والتي أصبحت في ما بعد جامعة كبيرة ، ولا تزال حية  
بأقية رغم الأحوال المتبدلة والظروف القاسية المحاضرة ، وكذلك  
مدرسة ديوبند التي أصبحت في ما بعد أم المدارس الدينية ومركزها  
الرئيسي ، بدأتنا سيرهما في ناحيتين مختلفتين ، كل واحدة منهما  
تعارض الأخرى وتضادها . وكان من جراء ذلك أن نبتت في  
الامة نابتة من كلا النوعين ، كل نوع منهما يكره الآخر ويتجنبه  
فانتشرت آثار هذا الخلاف بين المنهاجين والتناقض بين الطريقتين  
في كل ناحية من نواحي الحياة ، إلى أن ضاق الشعب بهذا الصراع  
الفكري والنزاع الثقافي والأدبي ، ونادى المصلحون والذين  
لهم نظرة ثاقبة في المستقبل ، بالاعتدال والأصلاح والجمع بين  
الفرقتين على رصيف واحد . وكذلك أدرك لفييف من العلماء  
بأنفسهم ما في المنهاج العقيم المتبع في مدارس الهند الدينية ، من  
مواضع الخلل ومواطن الضعف والنقص ، فأرادوا أن يسدوا  
تلك الثلمة ويرأبوا ذلك الصدع . فتهيأ الجو لحركة دينية ثقافية  
معتدلة بين حركتي عليكره وديوبند المتطرفتين ، على أمل أن  
تجمع الشمل وتسير بالامة إلى مدارج الرقي والفلاح .

## ندوة العلماء :

وفي هذه الظروف تأسست جمعية ( ندوة العلماء ) و ( دار العلوم ) التابعة لها سنة ١٣١١ هـ . أى فى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، بعدما مضى على تأسيس ( كلية عليكره ) و ( مدرسة ديوبند ) زهاء ربع قرن ، وانبث المتخرجون فيهما والمفترون من بحار معارفهما فى جميع أنحاء البلاد . قام بتأسيسها جماعة من فطاحل العلماء وأولى العلم والرأى ممن أحسوا بالخطر الداهم والشر المتفاقم من انتشار الثقافتين المتناقضتين، وشعروا بالحاجة الماسة إلى منهاج معتدل من التعليم والثقافة ينشئ الشبيبة المسلمة على الأخلاق والآداب الاسلامية المرضية ، ويكون جيلا من الشباب متضلعا من علوم الكتاب والسنة ، آخذنا بنصيب من العلوم العصرية واللغة الانكليزية ، حتى يكون أهلا لتأدية الواجب الدينى والعلمى على أحسن ما يرجى من الشباب المسلم فى هذا العصر .

دعت هذه الجمعية — ندوة العلماء — فيما دعت إلى الوئام والتقريب بين أبناء الطوائف الاسلامية المستمسكة بتوحيد الله ورسالة خاتم الأنبياء ، ومضاعفة جهودهم ومساعدتهم لاصلاح



ذات البين ، حتى يسهل عليهم الأمر في رد كيد الأعداء والدفاع عن حوزة الحنيفية السمحة التي مازالت تتابع عليها الحملات بعد الثورة وزوال ملك المسلمين . وكذلك أهابت بالقائمين على المدارس الدينية والمدبرين لشؤونها أن يعدلوا مناهج التعليم عندهم ويسلحوا الشباب بالمواد الجديدة النافعة في مقررات الدروس ويقللوا من خرافات اليونان البالية التي أكل عليها الدهر وشرب . ثم أسست الجمعية (دار العلوم) في لكنو تحت إشرافها وجعلت منهاج التعليم فيها جامعاً معتدلاً وسطاً بين مدرستي (عليكروه) و (ديوبند) ، آخذة من حسناتهما بنصيب موفور ، مضيئة لإليها حسنات أخرى . ومن خصائص دار العلوم الندوية التي لا تنازعها فيها مدرسة ولا كلية ولا جامعة في طول البلاد وعرضها ، أنها — لأول مرة في تاريخ الهند الإسلامية — اهتمت بتدريس اللغة العربية كافة حية لإنشاء ونطقاً ، وندبت لذلك أساتذة من بلاد العرب في مختلف أدوارها ، كما اعتنت بإرسال الأذكياء من طلبتها ومتخرجيها إلى بلاد العرب ليرتووا من مناهل اللغة العربية ولترسخ فيهم ملكة الأدب العربي وكان من نتيجة كل ذلك أن ظهرت في الأمة طبقة من العلماء قادرة على الاعراب عما في ضمائرهم بلغة الضاد نطقاً وكتابة . ولا تزال دار العلوم التابعة

لندوة العلماء حاملة بيدها لواء لغة القرآن ، باذلة الجهد المستطاع في نشر هذه اللغة الكريمة . وليس معنى ذلك أن مساعيها انحصرت في دائرة اللغة العربية ، لا والله ، بل هي شاركت في سائر ميادين النشاط الفكري والأدبي . وبفضل جهودها ومنهج التعليم والتربية في دار علومها ، أنجبت لعالم العلم والعمل طبقة مثقفة معتدلة بين الجامدين والجاهدين . وانتشرت الفكرة الندوية المعتدلة في حقول الدين والآداب والتعليم ، وعمت ، ونالت حظوة لدى الخاصة والطبقة المتوسطة المتعلمة . وكذلك كانت لها يد عظيمة في كبح جماح المتفرنجين وتقريبهم من حظيرة الدين .

حركات سياسية دينية ( ١٩١١ - ١٩٢٠ ) :

ظلت هذه الحركات الثلاث مستولية على قلوب المسلمين ، مهيمنة على عقولهم وأفكارهم إلى نهاية العقد الأول من القرن العشرين لليلاد - العقد الثالث من القرن الرابع عشر للهجرة - حتى انفجر في بعض أقطار العالم الإسلامي ، بركان الحوادث الدامية التي أقامت المسلمين وأقعدتهم في هذه الديار . ومن أهم ما أثر في نفوس مسلمي الهند فظائع طرابلس الغرب وولايات البنغال التي شوهدت وجه المروءة والإنسانية وأبرزت للعالم

ما يكنه الأوربيون عامة والإيطاليون خاصة من العداوة والبغضاء للمسلمين . وجملة القول أن الهند الإسلامية تأثرت تأثرا عظيما بتلك الحوادث المؤلمة ، وقامت فيها حركة سياسية ذات نشاط وحيوية للاتصال بالعالم الإسلامي والعطف على إخوانهم في سائر الأقطار . فكان ما كان من إقامة المظاهرات وجمع الأكتابات وإرسال البعثات الطبية إلى غيرها مما لسننا بصدد سرده وإفاضة القول فيه . وإنما أردنا إثباتها في هذا المقام ، لأنها كانت حركة سياسية منبعثة من عاطفة دينية عميقة . وهذه أول مرة ، نشأت في الهند المسلمة حركة حيوية بعد الثورة الكبرى وما تلاها من خمود وفتور .

وكذلك لما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وتجزأت ممتلكات الدولة العثمانية ، دولة الخلافة ، وأرادت دول الحلفاء اقتسام البقية الباقية من أجزائها ، قامت الهند الإسلامية قومة رجل واحد ، منكرة على الحلفاء عامة وعلى بريطانيا خاصة ، نقضها للعهود التي كدة وخطتها العدائية للدولة العثمانية . وكانت حركة جبارة ، أظهر خلالها المسلمون وزعمائهم من صنوف البسالة والتضحية والجرأة ما لم يظهر منهم في حركة أخرى ، لا قبلها ولا بعدها .

والذين نفخوا في نفوس الأمة روح التضحية وخرسوا في أفئدتها غراس التوثب والنهوض والطموح إلى المجد وقادوها إلى ميادين الكفاح والمصابرة والجهاد ، هم كثير ، ولكل منهم يد لا تبسأها الأمة ولا ينساها مؤرخ تلك الحقبة المباركة من تاريخ هذا الشعب المنكوب . وإن ننس لا ننسى محمد إقبال الحكيم الشاعر الذي أيقظ شباب هذه الأمة من رقادهم ، ونشأهم على الأفكار المستقيمة الصالحة ، ورباهم تربية إسلامية خالصة . وكان شاعرنا وحكيم هذه الأمة في مستقبل شبابه يومئذ ، فجاءت قصائده في تلك الآونة شعلة مضطربة من الحمية الدينية والنخوة القومية ، وما زال محمد إقبال برسائله الخالدة يذكر في نفوس الأمة روح الاعتزاز بالدين ، والاستمساك بالتراث الإسلامي الخالد ، إلى أن انتقل إلى دار الخلود سنة ١٣٥٧ ( ١٩٣٨ ) . ومن جلائل أعماله وحسنات جهاده مقـاومته للطائفة القاديانية في الآونة الأخيرة من حياته ، بما كان له أثر محمود في قلوب المسلمين .

كذلك لأبي الكلام شقص موفور ونصيب مرموق في إذكاء الحماسة في قلوب الشعب ، ولإنعاش الروح الدينية الخاملة في

نفوسهم . ومن الذى يقدر أن ينسى صحيفته ( الهلال ) (١) الزاهرة التى كانت نسيجة وحدها فى الصحافة الهندية الاسلامية . وايم الحق انه لم تنجب هذه البلاد حتى الآن رجلا يفوقه أو يماثله فى قوة البيان ، فهو رب القلم واللسان بلا مراء ، والمجلى فى ميدان الكتابة والخطابة بلا نزاع . هذا عما أسداه من الخدمة إلى الأمة والحق والتاريخ فى هذه الحقبة من الزمان ( ١٩١١ — ١٩٢٠ ) التى هى مناط كلامنا فى هذا المقام . أما ما جاء به من الأعمال والأفكار فيما بعد ، وما طرأ على آرائه وسياسته من تغيير وتبديل ، فله مقام آخر ، وللكل مقام مقال .

ويليهما فى التفكير والعلم ويفوقهما فى العمل والجدوالكفاح مولانا محمد على (٢) ، ذلك البطل المغوار الذى ظل طول حياته مثابراً على الجهاد والنضال ، ينافح عن كيان أمته ووطنه ، ويدافع عن الاسلام والملة الاسلامية فى سائر أنحاء الارض . ولعمر الحق

---

(١) ظهر العدد الأول منها فى يوليو سنة ١٩١٣ ، ثم عطلتها الحكومة بعد سنتين ، فأصدر ( البلاغ ) فمطلت هذه أيضاً بعد قليل واعتقل صاحبها فيمن اعتقل من زعماء المسلمين أيام الحرب العالمية الأولى .

(٢) شقيق شوكت على .

لأنه ما دام زمام الأمة بيده وبقيت زعامة الأمة وزعامة زعمائها طوع أمره وإشارته ، بقي دولاب الحياة سائرا نحو البعث الاسلامى الصالح ، وأفكار الشعب متجهة إلى الغاية الصحيحة الرشيدة ؛ ولم يتجرأ أحد من الزعماء ولا من أتباع الزعماء أن يسير بالسياسة الاسلامية سيرا معوجاً ويعدل بها عن المنهج المستقيم . لكنمه ، رحمه الله وأفاض على تربيته سجال الرحمة والغفران ، قد أنهكه المرض وشيخته الحوادث قبل أوامه ، فاستأثرت به رحمة الله وهو لم يتجاوز بعد السنة الثانية والخمسين من عمره . (١)

رحمه الله ، رحمة الأبرار الصالحين من عباده ، ونضر وجهه يوم القيامة .

### تبدل الحال وتغير الجو ( ١٩٢٤ - ١٩٣٠ )

ظلت هـ هذه الحركات السياسية الدينية - حركة مساعدة

---

(١) توفي في لندن سنة ١٩٣٠ الميلادية ، ودفن في الحرم القدسي

الشريف :

أقنى بدفنه عند سيده القرى مفت أراد الله في إفتائه

( شوقى )

المسلمين في طرابلس الغرب ومواساة منكوبي البلقان وحركة تأييد مقام الخلافة ومؤازرة مصطفى كمال - زعيم الأتراك يومئذ - تعمل عملها . واحدة بعد أخرى ، زهاء عشرة أعوام ، تستحسف كامن عواطف المسلمين وتستمطر واكف جودهم وأريحيتهم ، وكان لها ، على ذلك ، أثر محمود في تبدل الحال-الدينية ورجوع الطبقة المتعلمة إلى حظيرة الملة الحنيفية البيضاء وإقبالهم على دراسة الدين المبين . وذلك أن هذه الحركات للسياسية كانت منبعثة من عاطفة دينية خالصة ، عاطفة مساعدة الاخوان في الدين ومواساتهم وعاطفة التجارة و التقديس ، لمقام الخلافة ، رمز الوحدة الاسلامية في الزمن الأخير . فكل من شارك في هذه الحركات ، شارك متأثراً بتلك العاطفة النبيلة . ومن ههنا حدث تغير ملموس مشاهد في حياته الشخصية وأعماله الذاتية ، وكأنى بهذه الحركات قد حدثت من سورة التفرنج الذي انتشر داؤه وعم بين الطبقة المتعلمة وكسرت شوكتها ، وتجلى في بادىء الرأي أن جنود الكفر قد انهزمت انهزاماً تاماً وأن الهند العريضة الاسلامية قد رجعت إلى حظيرة الدين بعزم قوى وقلب ثابت .

ولكنه ، وبالأسف ، لم تمض على هذا التبدل إلا عشية أو ضحاها ، حتى ظهر للبلا أن هذا الانقلاب الديني الذي استبشر

به المصلحون لم يكن غير انقلاب موقت ليس له من قرار ولا ثبات . وذلك أن حركة الخلافة وأخواتها التي سبقتها ، ما قامت ونهضت على أساس فكري متين ، والذين أقبلوا عليها وخاضوا غمارها ، لم يتفكروا في مصيرها ومستقبلها ، وإنما كانت حركة عاطفية منبعثة من عاطفة صادقة . ظلت تعمل وتسير في طريقها ما دامت الحوادث تغذيها وتزودها بشعور متدفق جياش (١)

ولما نضب ذلك المعين الذي كانت ترتوى منه تلك العاطفة ، فتحرك هم المسلمين الخاملة وتثير في نفوسهم حمية الاسلام، حمية الولاء لمقام الخلافة والذود عن حوزتها، انطفأت الجذوة وركدت تلك العاطفة النيرة وصادت القلوب الخائفة مضغفة هامة من

---

(١) هذه الملاحظة من المؤلف عظيمة ، وقل من ينتبه لها كما انتبه هو لها . وفي اعتقادنا أن الضعف في العاطفة الاسلامية تطرق إليهم من ناحية تركيزهم تلك العواطف في العطف على الدولة العثمانية على أن ذلك أصل في تلك الحركة ، ولو أنهم ركزوها في الاسلام نفسه ، ودراسته ، والعطف على كل من يعمل به ويحیی سننه وأحكامه لبقیت تلك النهضة واستمرت تلك الحركة. وفي ذلك عبرة لكل نهضة إسلامية بأن تركز آمالها في الاسلام نفسه وفي إحياء سننه والعمل بأحكامه وتأييد كل من يساعد على ذلك .



اللحم والدم . وذلك بعد ما ألغى الأتراك نظام الخلافة وقضوا على البقية الباقية من رمز الوحدة الإسلامية .

وكان ذلك الإلغاء مبدءاً عهد جديد في تاريخ مسلمي الهند ، فان عوامل الشر والفساد الفكرى التى كانت قد خفيت واستقرت إبان حركة الخلافة الجبارة خوفاً من تيارها الدينى الشديد ، قد تطلمعت من جديد وأخذت تتناول بأعناقها . وبه حدث أول خلاف جوهرى بين أبى الكلام — زعيم القوميين فى ما بعد — ومحمد على <sup>(١)</sup> ، رحمه الله ، الذى ظل مسلماً مؤمناً بالحمه ودمه ولسانه وقلبه إلى آخر نفس من أنفاس حياته . فان أبا الكلام — وهو عالم دينى ، وصاحب تفسير للقرآن الكريم — قد نشر على أثر ذلك الإلغاء مقالة مسببة ، قرر فيها ، أن هذا الإلغاء فى صالح الإسلام وأن مصطفى كمال لم يأت بشئ يناقض مبادئ الإسلام ، وأن المجلس الملى الكبير صورة صادقة للحكومة الإسلامية الثورية ، <sup>(٢)</sup> الخ الخ . .

---

(١) شقيق شوكت على

(٢) الذى يعلمه المراقبون فى مصر للحركة الإسلامية فى الهند كانوا يعلمون عن أبى الكلام آزاد حتى فى دوره الأول أنه شعوبى وأن مناصرته للترك كانت منبعثة عن نزعة شعوبية أكثر مما هى منبعثة عن نزعة إسلامية ، فلما ناصرهم بعد ذلك على مطاردتهم لنظم الإسلام ازدادوا اطمئنانا إلى حكمهم على أبى الكلام وعلموا أنه فى واد وأهداف الإسلام فى واد آخر . . .

أما محمد علي ، ذلك المجاهد الصادق ، فبالعكس من ذلك ، ندد بالإلغاء ، وعده شؤماً على الإسلام والمسلمين . وانقلب منذ ذلك اليوم ، ناقداً لاهمال الكمالين ، منكرأ عليهم سوءاتهم وعداؤهم للإسلام . وما زال على ذلك ، حتى لحق بربه واستأثرت به رحمة الله .

وجملة القول أنه كان لهذا الإلغاء المشؤوم أثر غير محمود في بلادنا ، فقد اشتد به ساعد المتفرنجين والذين في قلوبهم مرض ، فانهم رأوا في ذلك فاتحة عهد جديد في الفكر الاسلامي . ولكنه كان عهداً جديداً للشر وفساد الرأي والفوضى في التفكير الاسلامي .

هذه بداية التحول من خير الى شر في مجرى الفكرة الاسلامية ، ثم تابعت الحوادث تابعاً أيد جانب المتفرنجين ، وساعد أرباب الاهواء على المضي في نشر آرائهم وأفكارهم . فمن تلك الحوادث - التي قام لها وقعد ارباب المطامع والشهوات - فتنة ( أمان الله ) ملك الأفغان السابق ، وتهافته على محاكاة الغرب ، وتقليد الكمالين في بلاده ، واستمراره على غيه من غير اكثرات لشعور الأمة وعواطفها ، حتى اضطربت في بلاده نيران الفساد والفوضى ، وثار الاهالي على الملك ،

فاضطر الى الفرار واللجوء الى بلاد أوربة . فوجد الملاحة والذين طبعوا على الفساد في صنيع الملك هذا ، مادة دسمة لنشر أفكارهم الزائفة وبذر بذور الشقاق بين مختلف الطبقات .

وفي تلك الحقبة من الزمان نجم قرن فتنه منكبة ، هي أشد من سائر الفتن التي حدثت حتى الآن وأفدحها شراً ، ألا وهي فتنه إنكار الحديث ووجود السنة النبوية الطاهرة . مما كان يدعو اليه بعض أصحاب الأهواء المتعالمين ، منذ زمان طويل ، ولكنه نجم قرنه وتفاقم شره في هذا العصر من جديد ، وأقبل عليه المتفرنجون والمتعلبون الذين في قلوبهم مرض إقبالا عظيماً . وذلك أن انكار الحديث النبوي يريح أولئك المارقين من كثير من العنت والإرهاق الذي يقاسونه بزعمهم في إقامة الصلوات الخمس وإيتاء الزكاة وأداء غيرهما من الشعائر الدينية ، ويجعلهم في مأمن من الاستنكار والتنديد من قبل جمهور المسلمين إذا تمادوا في شأنها واستخفوا بأمرها ، كما هو ديدنهم وعادتهم . فترى كثيراً منهم ، كلما لامهم أحد على عدم أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، قالوا ، لا نعرف لها أصلاً في كتاب الله أو بياناً واضحاً في شأنها ، وهكذا شأنهم في كل مسألة أو شعيرة أرادوا أن يتخلصوا منها أو يخلفوا أنفسهم من قيودها واغلبها

بزعمهم الفاسد . ومن ههنا تعرف ماذا عسى ان يكون قد ظهر  
لذلك من أثر سيء ، لولا جماعة من أولى العلم والبصيرة قد  
انبروا للرد على هذه الطائفة المارقة والكشف عن عوراتها  
وإيضاح الحق الصريح لمن أراد أن يتعظ أو يتذكر . ولكنه لم  
يرجع من دعائهم الى كتب الدين الحق والاذعان للسنة النبوية  
الزكية الا عدد قليل ممن كان مخدوعاً باضاليل المتعلمين ،  
وترهات المبطلين . والأغلبية الغالبة من أولئك الضالين ظلت  
دائبة على نشر الضلال والغرض من شأن الرسالة الحمديّة . ولا  
تزال طائفة منهم معنة في غيرها وضلالها . وعلى رأسهم رجل  
موظف في الحكومة المركزية في كراتشي ، ينشر آراءه الزائفة  
في مجلة شهرية ( طالع إسلام ) تحت اسم الحكومة وبصرها ،  
لكن حكومتنا ورجالها المتشدقين بالاسلام في كل ناد ومجلس ،  
لا يهتمون به في قليل ولا كثير . والذين قاوموا هذه الفتنة في  
أول عهدها وأرادوا ان يثدوها في مهدها ، هم الاستاذ المحقق  
السيد سليمان الندوي وتلاميذه (١) ، اذ وقفوا مجلتهم الشهيرة

---

(١) وكذلك تصدى للرد عليهم ومقاومة أضاليلهم اليوم ، صديقنا  
الأديب الشاعر الشهير ، ماهر القادري ، فقد اتخذ من مجلته الشهرية (فاران)  
سلاحاً ماضياً لمحاربة جيوش الزندقة والالحاد ، وردكيد أعداء السنة الحمديّة  
في نحورهم .

( معارف ) لاقتلاع جذور هذه الشجرة الخبيثة واستئصال شأفة هذه السوأة المنكرة .

هذا ، وقد كان للتدهور الخلقى والانحطاط الدينى أسباب اخرى ، نشأت فى هذه الفترة ثم ترعرعت ونمت حتى أصبحت مشا كل خطيرة استعصى على النطاسيين حلها . منها تشاجر زعماء المسلمين فيما بينهم . والذى حدث بينهم من السباب والمهاترة والتنازب بالالقباب فى السنتين ١٩٢٥ و ١٩٢٦ ، حينما دخل ابن سعود الحجاز وامتلك ناصية أمرها ، كان له أثر سيء جداً فى نفوس الجمهور ، وزالت بذلك مهابة الزعماء من قلوب الشعب . ومنها ، بل من أهم أسباب الانحطاط الدينى ، غفلة العلماء عن واجبهم ، فانهم ، فى أول الأمر ، ظلوا قابعين فى زواياهم ، غير مختلفين بما يحدث فى معترك الحياة ، حتى رموا بالجمود والتقهقر . وذلك من بعد الثورة الكبرى الى ما قبل حركة الخلافة . ثم أخذوا بنهضتهم من الحركات السياسية واقتحموا معاركها مع المقتنحمين ، إلا أنهم نسوا واجبهم الحقيقى وارتطموا فى حجة السياسة الحزبية القدررة ارتظاما بعد بهم عن موقفهم الاصلاحى ورسالتهم السامية . فلم يكن موقفهم وموقف جمعيتهم ( جمعية العلماء ) على منهاج من الاعتدال واستقامة الفكر والرأى

في حالة ما . وكان له ما بعده في مجرى الفكرة الاسلامية في هذه البلاد .

وبما أيد جانب المتفرنجين والدعاة الى الانطلاق من القيود سياسة والمؤتمر الوطنى الهندى، الجديدة، فان زعماءها — وعلى رأسهم غاندى — بدأوا ينجحون الى القومية الهندية المتطرفة التى لا تعترف بثقافة المسلمين المستقلة وكيانهم الشخصى الممتاز بل ترى أن جميع سكان الهند أمة واحدة من أرومة واحدة . وهذه النظرية دعوة جلية للمسلمين الى الاندماج فى القومية الهندية والانسلاخ عن آدابهم وثقافتهم ولغتهم وعاداتهم وكيانهم الممتاز . فابى ذلك جمهور المسلمين ومن بايديهم أزمة أمورهم : وعلى رأسهم مولوى محمد على رحمه الله ، زعيم زعماء المسلمين فى عصره . وانحاز الى المؤتمر الوطنى ونظريته القومية عدد غير قليل من المسلمين القوميين وعلى رأسهم أبو الكلام ، العالم الكاتب الخطيب الشهير ، وان كان يؤول صنيعة تاويلا من أنه لا يقول بالقومية الهندية المشتركة ، وإنما هى قومية دفاعية بازاء الانكليز ، ، لكن أتباعه ما كانوا كلهم علماء ، وإنما اشتركوا فى المؤتمر الوطنى مدعين لنظريته القومية . فكانت

النتيجة أن الغمّة القائلة بالقومية الهندية المشتركة وقبول الآداب والأخلاق الهندية الخاصة ، أخذت تميل إلى نوع من الإلحاد والتحرر من قيود الدين والأخلاق الثقيلة ، بزعمهم .

وكذلك قامت بإزاء ذلك حركة قومية إسلامية تدعو إلى مقاطعة المؤتمر الوطني الهندي ، وتأسيس جمعياتهم السياسية على نظرية القومية الإسلامية المستقلة ، فأسسوا جمعية ( مؤتمر المسلمين Muslim Conference ) انضوى تحت لوائه كل من انقطع عن المؤتمر الوطني الهندي ورجب في مقاومته ومناهضة مياسته المعادية للمسلمين ، ولكنه لم يكن له نفوذ كثير في أول الأمر ، وذلك لوفاء محمد علي رحمه الله وعدم إخلاص القائمين بهذه الجمعية الجديدة وضعف جرأتهم عن الوقوف في وجه الحكومة . وعلى كل فان هذا التبديل وانقسام المسلمين إلى الحزبين وانتشار الشقاق والخلاف في شؤونهم كان له أثر غير قليل في إضعاف الروح الديني وإطفاء جذوة الحماسة الدينية .

على عتبة الانقلاب الحديث ( ١٩٣١ - ١٩٣٧ ) :

الآن وقد وصلنا إلى عتبة الانقلاب الحديث ، يجمل بنا أن نلم بالعوامل التي أفضت إلى هذا الانقلاب الذي انتهى بتقسيم الهند

إلى باكستان وهندستان . وبيان ذلك أن الانكليز منذ أول عهدهم في الهند أرادوا أن ينفذوا فيها النظام البرلماني السائد في بلادهم . والحال أن نظامهم البرلماني يوافق طبيعة البلاد التي تسكنها أمة متحدة في الثقافة والأخلاق واللغة . والتي يمكن فيها لأقلية أن تتحول إلى أغلبية بعد سعى متواصل ودعاية واسعة . أما أمثال بلادنا الهندية المأهولة بأمم وشعوب متضاربة في الدين والأخلاق والثقافة واللغة ومناهج العيش ، فلا يلائمها هذا النظام البرلماني البتة . فان هذا النظام الذي يقول بمبدأ الحكم للأغلبية ، يكون معنى تنفيذه في مثل هذه البلاد أن يكون الحكم للأغلبية الطائفية المتعصبة ، وتبقى الأقلية الدينية الثقافية أقلية مقهورة ومغلوبة على أمرها إلى الأبد . ولكن العجب كل العجب أن أحداً من الساسة البريطانيين أو أذناهم لم يتنبه إلى هذا الجانب المهم من المسألة ولم يعره أدنى التفات . زد على ذلك أن زعماء المسلمين أنفسهم لم يتفطنوا لهذا الضعف الكامن في هذا النظام أو لم يتجرأوا على انتقاده والكشف عن مواطن ضعفه ، إما لما اعتقدوه من عصمة الانكليز فيما يأتون به من دستور وقانون ، أو لما استولى عليهم من الذعر والخوف من سلطتهم القاهرة . وكل ما أقدموا عليه بهذا الصدد في بداية النهضة القومية في مفتح



هذا القرن هو أن لا تنتقل سلطة الأمر والتشريع إلى أهل البلاد ويبقى زمام الأمر والحكم بيد الأجانب ، حتى يكونوا في مأمن من عنق الأغلبية وغلواتها الطائفية .

ثم قامت حركة الخلافة وشاركهم فيها الهنادك وتعاونوا فيما بينهم على المضي في حركة الاستقلال والتخلص من نير الاستعمار فلم يهتموا بهذا الجانب من المسألة في قليل ولا كثير ، إلى أن ظهر من نيات الهنادك ما كان خافيا ، وبدا من مكنونات نفوسهم ما كان مستترا . فجعلوا يطالبون بالحقوق والضمانات في المجالس النيابية ودوائر الحكم ، ولم يشعروا بأن النظام النيابي البرلماني الرائج في إنكلترا وغيرها من بلاد أوروبا لا يصلح لهذه البلاد ، وأن الضمانات المكتوبة والوعود المقطوعة المسجلة لا تسمن ولا تغني من جوع أصلا . وكان ضغنا على إباله ظهور طبقة من المسلمين القوميين المساعدين للمؤتمر الهندي تدعو إلى المشاركة في حركة الاستقلال ومؤازرة المؤتمر الوطني من غير قيد ولا شرط . وتقول لمن يناقشهم من إخوانهم في هذه الخطة «مالنا نساوم على الغنيمة قبل الحرب ؟ إن ذلك لعار علينا أبد الدهر ،» .

هذا ، وان هوة الخلاف بين المسلمين القوميين ، الداعين إلى

مؤازرة المؤتمر الوطنى الهندى من غير شرط ، وبين القائمين بالقومية الإسلامية ومقاطعة المؤتمر الهندى ، بدأت تتسع يوماً بعد يوم والمصادمة بين الفريقين تزداد وتشتد كل صباح ومساء . إلى أن بلغ الصراع بين الفريقين مبلغاً بيكى له الصديق ورثى له العدو الشامت .

ثم انه لما تولت الوزارات الوطنية زمام الحكم فى سبع مقاطعات سنة ١٩٣٧ ، بدا من سوء معاملتها لبني الإسلام مابداً ، وتجلى من عدم اكثراتها لمطالب الأقلية ما تجلى ، واشتدت وطأة حركة المقاومة للمؤتمر الوطنى الهندى وارتفع شأن جمعية « الرابطة الإسلامية » بزعامة السياسى المحنك والقانونى البارع ، محمد على جناح . وكذلك غلا فريق من المسلمين القوميين فى تأييدهم للمؤتمر الوطنى الهندى وأعرضوا عن مطالب المسلمين ولم يحتفلوا بها فى قليل ولا كثير . واما بيكى له قلب كل مسلم أن جمعية العلماء التى كانت منساق آمال المسلمين ومهوى أفئدتهم ، أيدت جانب أولئك الغلاة وآثرت الانقطاع عن جمهرة المسلمين الذين انضموا تحت لواء الرابطة الإسلامية وزعيمها محمد على جناح . وكان من تأثير كون جمعية العلماء فى الجانب الآخر أن الرابطة الإسلامية ورجالها البارزين شرعوا يطعنون فى العلماء وينتقدون

عليهم خطتهم المعوجة ، ثم تقدموا خطوة أخرى وجعلوا يطيلون لسان القدح في الدين وشعائره . ولم يكن من ذلك بد في مثل تلك الظروف والأحوال ، لأن معظم رجال الرابطة الاسلامية كانوا ممن تخرجوا في الاسكليات العصرية ، ولم يكن لهم سابق علم ولا معرفة بالدين ومبادئه ونظمه الخالدة ، فإنهم لما رأوا العلماء ، حملة الدين في هذا العصر ، يؤيدون جانب القومية الملعونة ويؤثرون الانضمام إلى صفوف الهنادك ، أساءوا الظن بالدين نفسه ولم يتحرجوا من الاستخفاف بأصوله وأحكامه . فلا جرم أن خطة أعضاء جمعية العلماء هذه ، كانت شؤماً على الاسلام والمسلمين في هذه الديار ، فذاقت الأمة ولا تزال تذوق مغبتها إلى اليوم ، وكانت من أكبر البواعث التي جرأت أنصار اليكاليين والمسلمين الجغرافيين من أعضاء الرابطة الاسلامية على الطعن في الدين والقدح في شأنه .

وصفوة القول أن هذه الفترة ( ١٩٣٠ - ١٩٣٧ ) لم تكن خيراً من التي قبلها ، إذا تأملنا من الوجة الدينية ، فإنه قد نجم فيها قرن المسلمين الجغرافيين — حسب الاصطلاح الشائع — وكثر طعنهم في الدين وشعائره ، وتفاقم خطبهم واستفحل شرهم ،

ولم يبق من السهل الميسور الرد عليهم والكشف عن مخبآت نفوسهم ، لأنهم حببوا أنفسهم إلى قلوب الأمة ونزلوا منها منزلة احترام وتبجلة، لوقوعهم في وجه المؤتمر الوطني الهندي ومقاومتهم العنيفة للمنادك .

وقد كثر سواد هؤلاء المسلمين « الجغرافيين » ، أو المسلمين بالوراثة وزاد عددهم في صفوف الرابطة الاسلامية، لأنها لم تشترط لعضويتها والانضواء تحت لوائها ، إلا أن يكون الرجل متسماً بالاسلام، مسجلاً اسمه في الاحصاء . سواء عليه أكان شيعياً أو إباحتياً أو بمن لا خلاق لهم من المروءة والشهامة . فالعبرة عندهم بالاسم ، لا بما يحمله صاحب الاسم من العقيدة أو يتحلى به من محاسن الأخلاق . وكذلك بلغ من غلواء الدعاة إلى القومية الهندية المشتركة ما جعل أولى العلم والرأى على حذر من جانبهم ، فان هذه الدعوة إلى الثقافة المشتركة ومناهج العيش المتحدة قد صرفت ببعضهم إلى العهد الأكبرى الممقوت (١) ، وسولت لهم أنفسهم أن يستعيدوا ذلك العهد الذى بلغت فيه الدعوة إلى الامتزاج الدينى والثقافى أشدها .

---

(١) راجع الصفحة ١٩١ من هذه الرسالة وما بعدها

## دعوة إسلامية خالصة ١٣٥٢ (١٩٣٣) :

في مثل هاتيك الأحوال ، ظهرت دعوة إسلامية خالصة ، بريئة من نزعات القومية الهندية المشتركة ، طاهرة من شوائب النزعات القومية الإسلامية الجغرافية . ظهرت هذه الدعوة في وقت بلغت فيه المصارعة بين الفكرتين أشدها ، وتقسمت الأمة الإسلامية الهندية إلى فئتين ، كل واحدة منهما تعادى الأخرى وتضادها ، كما تقدم . ولا يدري إلا الله ، ماذا عسى أن يكون قد انتهى إليه هذا النزاع والصراع ، لولا ظهور هذه الدعوة المباركة إلى الدين الخالص .

وقام بهذه الدعوة رجل مؤمن من هذه الأمة ، عالم بكتاب الله وسنة نبيه ، مطلع على ميول العصر ونزعاته ومقتضياته ومطالبه ، بصير بأدواء الأمة وعللها . شرع في هذه الدعوة ، الدعوة إلى الدين الخالص وإحياء مآثره ونظمه وإقامة شعائره والإذعان للشريعة الإلهية في كل صغير وكبير من شؤون الحياة ، بإنشاء مجلة شهرية ( ترجمان القرآن ) تعنى بنشر هذه الفكرة ، فكرة الإسلام الشامل ، وإذاعة خصائصها ومحاسنها وتبيين أصولها وفروعها حتى يقبل الناس عليها وهم على بصيرة من أمرهم ، ويلبوا

الدعوة بأعماق صدورهم وقلوبهم .

شرع في هذه المهمة الجليلة الأستاذ السيد ( أبو الأعلى المودودي ) رئيس تحرير مجلة ترجمان القرآن ، من بداية سنة ١٣٥٢ ( ١٩٣٣ ) ، وأخذ يبت أفكاره ويوضح تعاليم الاسلام الخالدة ونظرياته السديدة في الحكم وال عمران والاقتصاد والسياسة التي غفل الناس عنها ولا يكادون يؤمنون بها إيماناً صادقا ، ومن أجل ذلك جعل من همه في أول الأمر أن يقف قلبه السيال على إبراز فكرة الاسلام الحقيقية وتصوره للكون والعالم ونظريته في علاقة الانسان بربه ومنزلته في هذه الدنيا . وكذلك صرف مجهوده وهمته في الكشف عن العلل والأدواء التي لصقت بأفكار المتأخرين الجاحدين من علماء الاسلام ، فجعلتهم لا ينظرون إلى الدين الكامل ، إلا كما ينظر البوذي إلى دياناته منحصرة في جملة من العقائد والعبادات ، ولا صلة لها بشؤون الحياة ونظمها العديدة المتشعبة . وعلى غرار ذلك ، أخذ على المتجددين الذين تشبعوا بأفكار الغرب وآرائه الباطلة المزخرفة ، تنسكهم محجة الشريعة الخالدة وجهلهم لمبادئ الاسلام وأسسها المتينة وتهافتهم على الأفكار المستوردة من الغرب من غير فهم ولا تبصر .

وفوق كل ذلك بين بأساليب متعددة وطرق متنوعة ، أن الإسلام دين متكامل شامل محيط بجميع شعب الحياة وفروعها ، لا يند عنه شيء ، ولا يشذ عن دائرته جزء ؛ وذلك لما رسخ في أذهان القوم من أن الدين عبارة عن مجموعة من العقائد والعبادات ، ولا علاقة له بشؤون الحياة العامة البتة . وكان ذلك — كما لا يخفى — في قرون الجور والتفقر الأخيرة التي ركبت فيها أمواج الفكر الإسلامي وعمقت القرية الإسلامية بأسرها . ومن ههنا أحسن الأستاذ المودودي في تبين هذه الحقيقة وتثبيتها في قلوب الناس بأسلوبه المقتنع البليغ الذي لم يطلع عليه رجل منصف إلا اطمأن إليه وسكنت إليه نفسه .

وكذلك لفت أنظار الأمة إلى حقيقة أخرى مهمة ووجه أنظارهم إليها توجيها ، وبيانها أن هذه الدعوة التي يقوم بها على فترة من الزمن ، إنما هي دعوة إلى الإسلام نفسه لا إلى القومية . وبينهما فرق عظيم ، لا يخفى على اللبيب المنبصر . فانه لا يهمنها أن تتكون في قطر من الأقطار دولة قومية إسلامية كالتى فى تركيا وأفغانستان وإيران ومصر وغيرها ، وإنما تريد دولة إسلامية تدعى للقانون الإلهى وتأنم بأوامر الشريعة الإلهية . وإن دولة يرأسها ملك مسلم أو يسير دفعة شؤونها وزراء مسلمون ، لا تعد

بمجرد ذلك دولة إسلامية . فالحكومات الإسلامية الهندية  
الماضية لم تكن إسلامية في قليل ولا كثير . وكذلك حكومات  
المسلمين والممالك الإسلامية المنتشرة اليوم في أفريقيا وآسيا ،  
ليست من الدولة الإسلامية في شيء . وذلك أن الإسلام دين  
متكامل له أصوله وعبادته ودستوره للحكم وقوانينه للسلم والحرب  
وسائر شؤون الحياة ، فمن أراد أن يأخذ بالإسلام ، فليأخذ بجميع  
أجزائه وشعبه ، ومن أراد أن يدخل في الإسلام ، فليدخل في  
دائرته بجميع حياته . فالمسلمون الجغرافيون أو المسلمون بالوراثة  
الذين لا يقبلون الإسلام دستوراً لحياتهم وقانوناً لدولتهم ، ليسوا  
من الإسلام بالمنزلة التي يريد الله منهم ويفرضها على عباده .  
ولما كانت هذه الناحية أيضاً قد خفيت على كثير من الناس  
والتبست عليهم مذاهبها واستبهمت مسالكها ، اهتم صاحب مجلة  
( ترجمان القرآن ) بوجه خاص ، بإبرازها للملا وتبيينها للناس ،  
حتى تجلت لهم وظهرت أمام أعينهم حقيقة ثابتة خالدة ، لا ريب  
فيها ولا مرا .

وكذلك ( العبودية لله ) — التي هي لباب الدعوة وملاك  
أمرها ، والتي تدعو الناس إلى إقامة نظم الحياة على أسسها المتينة  
المحكمة — لها معنى خاص ومفهوم معين ، بينه الأستاذ المودردى



تبييناً وأوضحاً، وإيضاحاً في مختلف مؤلفاته ومقالاته، حتى لا يذهل عنه أحد. وذلك أنه ليس لكل رجل أن يعبد الله حسب ما يشاء ويتفنى، بل الأمر أن للعبودية والعبادة صورة واحدة مخصوصة، هي اتباع الشريعة التي جاء بها النبي الأُمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لمسلم أن يرد منها ما يشاء ويختار منها ما يريد، وذلك أن الإسلام عبارة عن الاذعان الكامل للشريعة المحمدية. والوسيلة إلى العلم بالشريعة ليست بمنحصرة في كتاب الله، بل السنة النبوية والحديث النبوي أيضاً من الوسائل الأساسية للعلم بالشريعة. وليس من طريق الاستدلال من كتاب الله وسنة نبيه أن يسخرهما المرء لأهوائه ونظرياته، وإنما الطريق الصحيح للاستخراج من ذينك الينبوعين أن يجعل المرء نظرياته وآراءه تبعاً لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وكذلك لسنا من القائلين بالتقليد الجامد الذي لا متسع فيه للاجتهد وتحريم الحق والصواب، كما لانقول بالاجتهد الكاذب، الذي يرفض أقوال السلف جميعاً ويسحب ذيل النسيان على أفكارهم ومجتهداتهم.

لقد بين صاحب مجلة (ترجمان القرآن) هذه الحقائق، وفصل القول في شرحها وإيضاحها، نظراً لما يكتنف الفكر الإسلامي المعاصر في هذه البلاد من الغموض والابهام والجمود والجمود.

ومن ثم كان من أول واجبات الداعى إلى الفكرة الاسلامية الخالصة أن يزيل ذلك الغموض والابهام ويقضى على جرائم الجحود وينبه الجامدين من نوم الغفلة ، حتى تصير أفكار الذين يلبون الدعوة ويتأثرون بها مستنيرة ناضجة ، وعقولهم متنورة ، وتصبح سبل العمل ومناهجه أمامهم واضحة جليلة .

### المرحلة الأولى من الدعوة (١٣٥٢ - ١٩٣٣ و ١٩٤١ - ١٩٣٦)

فأنت ترى أن الأستاذ السيد أبا الأعلى المودودى عنى - فى أول ما عنى به - بتكوين فكرة صادقة سليمة للإسلام ونظمه ، واهتم - فيما اهتم به فى السنين الأولى من بدء مهمته - بانتقاد الآراء الزائفة والنزعات الجانحة عن الصواب ، والكشف عن مواطن الضعف فى تصور القوم للإسلام وفكرته الشاملة . فآلف وكتب ونشر حتى واصل سواد ليله بنهاره وانقطع إلى الدرس والمطالعة والكتابة وثابر عليها بضع سنين ، من غير أن يجاهر بما فى نفسه من اعتزازه القيام بحركة شاملة لإحياء الإسلام وإقامة دينه فى أرضه ، إلا أنه أشار فى ثنايا مقالاته إلى أن الإسلام دين ولا يمكن أن يحيى حياة كريمة مستقلة فى ظل دين أو نظام آخر . فمن آمن بكونه ديناً شاملاً ، فلا مندوحة له عن الجهد والكفاح

في سبيل إعلاء كلمته وإقامة نظمه .

ظل مشتغلاً بمهمته هذه . مكباً على عمله ، ينشر آراءه وأفكاره في مجلته الشهرية ( ترجمان القرآن ) بانتظام ، حتى تطلعت أعناق الناس إليها وتأثرت طبقة غير قليلة من المتعلمين الجدد بمبادئها القيمة المقنعة ، لأنهم آنسوا فيها شيئاً جديداً مبتكراً غير ما تعودته نفوسهم في المجلات والكتب الدينية الرأجة ، ووجدوا رجلاً بصيراً بنزعات قلوبهم ونزعات أفكارهم ، يصف الدواء للأدواء السامنة في نفوسهم وعقولهم ويضع البلمس الشافي على جروح دامية أصيبوا بها في عقائدهم .

ظل مكباً على هذا العمل النافع المثمر بضع سنوات ، حتى تواترت الوزارات الوطنية الهندية الأمر في سبع مقاطعات ، بعدما انتقل إليها نوع من الحكم ، وظهر من نيات القائمين عليها ما كان مستترا ، وتجلى للعيان من كبرياتهم وخطرتهم ما تجلى ، وتبين من اضطهادهم للمسلمين وعدم الاكتراث لمطالبهم ما جعل أولى العلم والرأى على حذر من مستقبل الأمة المسلمة في هذه البلاد ، وذلك في يوليو سنة ١٩٣٧ لليلاد . وكان من نتيجتها أن اشتد الخلاف بين الفريقين من المسلمين — كما تقدم في ماسبق —

كل واحد منهما غافل عن خطورة الموقف والخطر المحدق بكيان الأمة : فاضطر رئيس تحرير مجلة ( ترجمان القرآن ) أن يجرد قلبه السبيل للكشف عن عورات المؤتمر الوطنى الهندى وإمالة اللثام عن خفاياه وإنذار المسلمين بخطورة الموقف والإهابة بهم للنهيؤ للمستقبل العبوس . فشرع فى سلسلة مقالات متتابعة امتدت زهاء ثلاث سنين ، منقسمة إلى ثلاثة أدوار :

فى الدور الأول من تلك السلسلة من المقالات ، استعرض تاريخ المسلمين فى هذه البلاد ، وأشار إلى مواطن الضعف فيما مضى من أعمالهم وسياساتهم التى أفضت بهم إلى هذا الدرك الأسفل من التقهر والانحطاط . ثم تطرق فى نهاية هذا الدور إلى الشروع فى حملاته المعروفة على المؤتمر الوطنى الهندى ونزعته اللادينية ، إلى أن بلغت هذه الحملات المتواصلة المنكرة أشدها فى الدور الثانى من هذه السلسلة . وأهم ما اهتم ببيانه الأستاذ المودودى فى تلك المقالات ، أن القومية الهندية المشتركة والسياسة الجمهورية اللادينية القائلة بالحكم للأغلبية لا توافق طبيعة هذه البلاد ، وأنها - إن نفذت - ستقضى على كيان المسلمين وثقافتهم وأخلاقهم ، وأن المسلمين يكون مثلهم كمثل من يوقع على حكم

إعدامه ، إذا أبدوا رضاهم أو سكتوا عن هذا النظام الجمهورى الذى يريد الانكليز ويحب الهنادك تنفيذه فى هذه البلاد. ولقد شهد الجميع من بين مادح وقادح ، أن هذه المقالات انقضت على على رهوس القائلين بالقومية المشتركة كالصاعقة ، وأنها هى التى قصمت ظهر المؤمنين بمؤازرة المؤتمر الوطنى الهندى من بين المسلمين ، وأنه لولا حملات المودودى على المؤتمر الوطنى الهندى لما قامت للرابطة الاسلامية قائمة ولما ارتفع لها شأن .

هذا ، وفى تلك الغضون بلغت الرابطة الاسلامية أوج مجدها ومنتهى رقيها وجعل زعمائها يبدون عما فى ضمائرهم من الافتتان بالغرب والنزوع إلى التركيب الكمالية ، حتى تبين من أقوالهم وأفعالهم أن حركة القومية الاسلامية التى تدين بها الرابطة الاسلامية ، والتى لا تشترط لعضويتها إلا أن يكون اسم العضو مسجلا بين المسلمين فى ديوان الاحصاء ، لو تركت هذه الحركة وشأنها وظل القائمون بها ينشرون أفكارهم الزائفة وآراءهم المعوجة ، لذهبت بالبقية الباقية من التراث الاسلامى فى هذه الأمة البائسة ، ولم يبق لنا أمل فى إحياء نظم الاسلام وإقامة الدين . فاذن لم يمكن بد من القضاء على هذا الشر قبل اشتداده وتفاقه

وقطع دابر هذه الفتنه قبل أن يستفعل أمرها ويتسع الحرق على  
الراقع .

ومن ههنا شرع الأستاذ المودودي في الدور الثالث من تلك  
المقالات، وشرح فيها مفسد القومية الاسلامية والنزعة الاقليمية  
والنزعات العنصرية ، كما بين لهم من قبل مساوىء القومية الهندية  
والسياسة الجمهورية اللادينية . فكان ذلك مبدء الخلاف بين  
المودودي وبين زعماء الرابطة الاسلامية الداعين إلى الانفصال  
عن القومية الهندية وتأسيس مملكة إسلامية . فانه لما شاهد بأمر  
عينه أن الدعاة إلى المملكة الاسلامية المستقلة يستخفون بالدين  
وشعائره ، ويتجاهرون بافتتانهم بالغرب ولوعهم بالكاليين  
وأن مملكتهم التي يريدون تأسيسها ، لا تكون إلا مملكة جمهورية  
لا دينية ، كما تشهد بذلك سياستهم وخطتهم العملية — لما شاهد  
كل ذلك شمر عن ساق الجرد وانبرى للكشف عن سوءات تلك  
القومية الإقليمية والعصبية العنصرية وضررها بالاسلام والمسلمين  
وشرح للأمة في بيانه المبدع الرائع وحججه القوية المفحمة مبينا  
لها تبييناً في مقالات متتابعة ، أن هذه الذمرة الاقليمية العنصرية  
وتلك النزعة الافرنجية الكالية تناقض مبادئ الاسلام وقواعده  
المحكمة ، وأن هذه المناهج الغريبة في سياسة القوم ، وهذا التبرج

في مجالسهم ومؤتمراتهم ، وتلك الإباحية ونزعات الاتحاد بين صفوفهم ، ستهوى بالامة وأمانها وآمالها إلى درك سحيق من الخيبة واليأس والخسران ، وأنهم مهما أدركوا باتباع هذه السياسة اللادينية وتلك الخطة القومية من ملك وسلطة ، فانهم لن يدركوا غاية الاسلام أبداً بهذه الطريقة المعوجة . فان لكل غاية طريقة توصل إليها ، وكذلك للوصول إلى مثل الاسلام العليا طرق ومنهاج معروفة محدودة ، لن يصل إليها أحد إلا بواسطتها وبالسير عليها . فما رأيك في رجل يريد الوصول إلى بيت الله الحرام ، ثم يولى وجهه شطر اليابان ويركب الباخرة التي توصله إليها؟ وماذا عسى أن يكون رأيك في مثل هذا الرجل؟ وكيف يسوغ لجمعية من المسلمين تتشدد بالاسلام لاستمالة رأى الجمهور وتحبيبها إلى نفوسهم ، ثم تأتي بأعمال ومناهج تعارض الاسلام وتناقضه؟ وكيف يجوز لمؤمن بصير بالعواقب أن يسايرهم في سياستهم الباطلة وخطتهم الزائفة؟ هذه واحدة .

والثانية أن الدعوة إلى القومية الاسلامية والاستقلال الذاتي للمسلمين في المناطق التي لهم فيها أغلبية عددية ، عملاً بالمبدأ الجمهوري «الحكم للأغلبية» ما كانت لتحل قضية المسلمين في هذه القارة الصغيرة ، فانه ، بعد ما تمنح تلك المناطق الاستقلال ،

يبقى في الهند الهندوكية. زهاء نصف عدد المسلمين في هذا القطر .  
وهم يكونون يومئذ — كما هو مشهود اليوم — أضياع من الأيتام  
على مأدبة اللثام . ومن ههنا قام الأستاذ المودودي بدعوة  
الاسلام الخالصة ، وبين للأمة أن قيامهم بواجب شهادة الحق  
وبذل الجهود في نشر الدعوة الاسلامية المنزهة عن أدناس  
القوميتين الوطنية والعنصرية ومفاسدهما ، هو الذي يمكن أن  
يخرجهم من هذا المازق الحرج ويحل مشكلتهم حلا يرضى الله  
ورسوله وتطمئن إليه خواطرهم . فانهم ، يوم جاءوا إلى هذه  
البلاد ، قبل ألف سنة فصاعداً ، لم يكن لهم فيها عدد أو عدة ،  
وإنما رسخت أقدامهم فيها وكثر عددهم واتسعت ممالكهم وتغلغل  
نفوذهم وانتشرت آدابهم بفضل العلماء والصوفية الذين قاموا  
بفريضة وشهادة الحق ،<sup>(١)</sup> القولية والعملية . ولولا تقاعس الملوك  
والقواد عن هذا الواجب واشتغالهم بأموز الملك وانقطاعهم اليها  
لما كان في هذه الأقطار وجود لمشاكل الاقلية والأغلبية .  
ولعمر الحق انه لو استعد المسلمون اليوم استعداداً حقيقياً ،

---

(١) من شاء الزيادة من معنى (شهادة الحق) وشرحها وبيانها ، فعليه  
أن يراجع رسالة (شهادة الحق) للأستاذ المودودي .



وقاموا بواجب شهادة الحق قياماً يعرف به سكان هذه القارة  
- على اختلاف أذواقهم ومشاربهم - أن هؤلاء المسلمين  
ليسوا بأمة وحسب بالمعنى الذى نفهمه من هذه الكلمة ، وإنما  
هم أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم  
الصلاة وتبث محاسن الأخلاق ، لا تتعصب لسلالة أو وطن أو  
قومية ، وإنما قولهم « إن الناس كلهم بنو آدم ، ولا فضل لعربى  
على أجمى إلا بالتقوى ومكارم الأخلاق » . نعم ، لو تنبه  
المسلمون اليوم لهذه الحقيقة وتبرأوا من القوميات الملعونة  
والعصيات الضيقة المحدودة التى كان رسول الله ﷺ يسميها  
« بنيات الطريق » ، وقدموا أنفسهم للعالم أمة مسلمة داعية إلى الحق  
آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، لتبدلت الأرض غير الأرض  
وتغيرت نوعية المشكلة ، وتخلص المسلمون من هذا المأزق الذى  
وقعوا فيه ولا يكادون يخرجون منه . وقديماً فتح المسلمون  
البلاد وملكوا أزمه القلوب وامتلكوا ناصية الحكم واستولوا  
على مشاعر أهلها بتلك السياسة العادلة ، وأداء شهادة الحق  
والتحلى بمحاسن الآداب والأخلاق ، فما الذى يمنعهم أن ينتهوا إلى  
معالم أسلافهم وماذا يعوقهم اليوم عن اقتفاء آثارهم .  
لقد شرح الأستاذ المودودى نظريته هذه ، وفصل القول

القول فيها تفصيلاً في سنة ١٩٣٩ إبان حركة القومية الإسلامية ،  
فانه بين للقوم تبيننا وأوضح لهم إيضاحاً أن المسلمين ليسوا أمة  
- كالألمان أو الإنكليز أو الهنالك مثلاً - تنتمي إلى عنصر  
مخصوص أو تنسب إلى أرض بعينها ، وإنما المسلمون حزب ذو  
فكرة ومبدأ ، لا ينحسرون في أرض أو سلاله ، فلمهم أن يجذبوا  
الهنالك إلى حزبهم العالمي ، ذي الفكرة السامية والنظرية العالمية  
الشاملة ، كما جذبهم أسلافنا من قبل .

وما لا بد من الاعتراف به أن الأغلبية الغالبة من الأمة  
ماقبلت هذه الفكرة ، بل آثرت نظرية القومية الإسلامية بازاء  
القومية الهندية ، إلى أن صادق مؤتمر الرابطة الإسلامية سنة ١٩٤٠  
على القرار المعروف الذي انحصرت غايتها بموجبه في تأسيس  
مملكة إسلامية مستقلة . وما ان مضى على هذا القرار سنة كاملة  
حتى تبين للجميع أن المسلمين قد اتخذوا (باكستان) هدفاً قومياً  
لهم يطمحون إليه بأبصارهم ويتطلعون إليه شوقاً .

تأسيس الجماعة الإسلامية : (١٣٦٠ / ١٩٤١) :

وبعد ماتجلى للعيان أن أغلبية الأمة ماقبلت نظرية الإسلام  
الخالصة بقبول حسن ، وأنها ساعية ليل نهار للوصول إلى هدفها

القومي - أى الاستقلال فى المناطق التى لهم فيها أغلبية عددية - أصبح الأستاذ المودودى ومن التف حولہ وتأثر بدعوته من المؤمنين المخلصين أمام مسألتين خطيرتين :

الأولى : إن خسر المسلمون الصفقة - لا قدر الله - ولم يفوزوا فى الحصول على المملكة المستقلة ، على ما يبذلون فى سبيلها من جهود ومساع ، فماذا يكون وقتئذ فى دكتتنا من اتخاذ الحيل والتدابير لإنقاذ الإسلام والثقافة الإسلامية وخصائص المسلمين الفردية من نتائج هذا الانكسار القومى وغواقبه الوخيمة التى تأتى على أثره .

والثانية : ان نجاح المسلمون فى مسعاهم وانقسمت البلاد وتجزأت ، فماذا يبقى فى وسعنا من الطرق الممكنة لنشر تعاليم الإسلام وتنوير قلوب عشرات الملايين (١) من الأقليات المسلمة المبعثرة فى مختلف أصقاع القارة ، بنور الحق وتبليغهم على الطاعة والإذعان لأمر الله ورسوله . وكذلك إن تأسست باكستان

---

( ١ ) عدد الذين بقوا فى الهند بعد التقسيم ، يبلغ زهاء أربعين مليوناً أى نحو من نصف عددهم فى هذه القارة الصغيرة قبله .

بزعامه هؤلاء الزعماء الذين بيدهم زمام الحركة اليوم ، فإذا عسى أن نقدر عليه يومئذ من إيجاد الوسائل والخطط لتحويلها إلى دولة إسلامية خالصة حقيقية ، والوقوف في وجوه الذين يريدون أن يتخذوا من مملكتهم الجديدة المنشودة جمهورية لا دينية .

وبعد ما بلغت خطورة الموقف هذا الحد ، وأحس القائمون بالدعوة أن مستقبل الاسلام في هذه القارة الهندية يتوقف على هاتين المشكلتين ، وأوأنه قد آن الأوان لينخرط الذين تأثروا بهذه الدعوة في تسع السنوات الماضية ، في سلك واحد حتى ينتظم عقدهم ويجتمع شملهم ويتقدموا صفأ واحداً للقيام بالتبعية الثقيلة التي تنتظر رجالا من أمثالهم ذرى العقيدة المحكممة والفكرة الناضجة . فاجتمعوا في شعبان ١٣٦٠ ( أغسطس ١٩٤١ ) في لاهور - وكانوا خمسة وسبعين رجلا من مختلف أنحاء هذا القطر وجميع طبقات الأمة - واتفقت كلمتهم على تأسيس ( جماعة اسلامية ) للنهوض بدعوة الاسلام الخالصة وإعلاء كلمة الله في أرضه ، وانتخبوا الأستاذ السيد أبا الأعلى المودودي أميراً للجماعة ، حسب الطريقة الشرعية والمنهاج الديني الخالص ، وتسمت الجماعة ( الجماعة الاسلامية ) . وكان الغرض المهم من تأسيس الجماعة يومئذ ، هو إعداد جماعة من العاملين المخلصين للنهوض

بالأعباء الخطيرة والقيام بالتبعات الثقيلة المنتظرة في كلتا الحالتين كما تقدم بيانه آنفاً . وبتأسيس الجماعة دخلت الدعوة في المرحلة الثانية من حياتها .

### المرحلة الثانية من الدعوة ١٣٦٠ — ١٣٦٦ ( ١٩٤١ — ١٩٤٧ )

بدأت الدعوة الاسلامية المرحلة الثانية من حياتها بتأسيس الجماعة واستنفاد المساعي في إعداد جماعة صالحة للنهوض بأعباء شهادة الحق وإحياء نظم الاسلام في هذه البلاد . وفي سائر بلاد العالم إنما يبدأ العمل في بقعة صغيرة ثم يتسع إلى أن تبسط الدعوة أو الفكرة جناح رحمتها على سائر أقطار الأرض .

شرعت الجماعة الاسلامية في مهمتها بتعميم الدعوة ونشر فكرة الاسلام وأداء شهادة الحق القولية والعملية . ففي جانب ظل الأستاذ المودودي يدون آراءه وأفكاره في مجلة (ترجمان القرآن) ويلقي المحاضرات في مواضيع عمرانية حيوية أمام طلاب الجامعات وأساتذتها ، وكذلك ظهر في الجماعة نخبة من الكتاب والمؤلفين وقفوا بحياتهم ومواهبهم لاستجلاء محاسن الاسلام وإبرازها ناصحة واضحة أمام أنظار العالم ، وذلك بأسلوب عصري متين

يوافق ذوق العصر ويلائم طبيعة العقلية الجديدة ، فقد أفرغوا تعاليم الاسلام الخالدة الثابتة في قالب جديد مقبول وكسوها ثوبا قشيبا من المصطلحات الجديدة والتعابير المصرية ، تجذب أنظار المتعلمين إليها وتأخذ بمجامع ألبابهم ، وذلك من غير أن يزيدوا أو ينقصوا من مبادئ الدين المحمكة وقواعد الشريعة الثابتة .

وفي جانب آخر عنيت الجماعة بتربية الأعضاء الذين كانوا ينتظمون في سلك الجماعة بعدما يتمحنون ويختبرون أسابيع وأشهرأ حسب استعدادهم وأحوالهم ، واهتمت أيما اهتمام بتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة والسجايا المرضية والطباع المستقيمة ، حتى يتمكنوا من الوقوف في وجه الأهوال والشدائد من غير ما وهن ولا استكانة . وغاية ما كانت الجماعة تطمح إليه وتهتم به في هذه المرحلة بوجه خاص أن يظهر أعضاء الجماعة وأنصارها (١) في حياتهم اليومية العادية بمظهر وضىء من حسن المعاملة وطهارة

---

(١) الذين يؤيدون الجماعة ويوافقونها على أهدافها ومنهاج عملها ويعارضون معها على العمل والكفاح ، لكن لا يقبلون العضوية لأسباب خاصة بهم يدعون ( متفقين ) في مصطلح الجماعة ، وقد سميئهم ( أنصاراً ) بالعربية . أما الأعضاء فيدعون ( أركاناً ) والعضو ( ركنأ ) . وبذلك يتبين أن لفتنا ( الأردنية ) مشحونة بالكلمات العربية .

الأخلاق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد والشعور بالمسئولية، يجبر كل من يعاشرهم ويعاملهم على الأقل على الشهادة في نفسه والاعتراف في قلبه بأن العقيدة التي يدعون إليها والفكرة التي يمثلونها، لا بد أن تكون حقاً، لا يتطرق إليها زور ولا كذب .

واختارت لذلك طرقاً ومناهج ، لا يتسع المقام الأفاضة فيها .  
منها أنها جعلت مركز الجماعة في قرية عمرتها بنفسها واستوطنها صفوة من أعضائها ، بعيدة عن العدران، وفتحت فيها فرعاً خاصاً لتربية الأعضاء والأنصار، كانوا يؤمنونها بالتناوب، إلا أن معظم اعتمادها في تربية الأعضاء والأنصار وتذويتهم على الطباع الثابتة المستقيمة كان على ثلاثة أمور : ( ١ ) التبليغ ( ٢ ) والمحافظة على نظام الجماعة وآدابها وقوانينها ( ٣ ) وحرية النقد لكل عضو في داخل الجماعة .

فكان من واجبات كل عضو أن يعرض الدعوة ومبادئها وتفصيلها على كل من يتصل به من ذوى قرابه وغيرهم من المسلمين وغير المسلمين . وللعمل على نشر الدعوة والمواظبة عليها ، كان يستعد كل عضو للدراسة والمطالعة ويزود نفسه بما يقدر عليه من الأخلاق الفاضلة من عذوبة المنطق وحسن الخلق وتحمل الأذى

إذ لم يكن تبليغ كلمة الحق ودعوة الناس إلى الخير والرشاد هينا  
لينا في عهد من العهود ، فإن الطبيعة البشرية لا تزال هي هي على  
ما كانت عليه في عصر النبي ﷺ وأصحابه ، لم تتغير ولم تتبدل .  
وللدعوة جانب آخر أبلغ من الدعوة القويمة وأكثر منها نفوذاً  
وأهمق تأثيراً ، ألا وهي الدعوة أو الشهادة العملية ، وهي أن  
يتجلى كل عضو أو كل داع بصفات المسلم الصادق ويروض نفسه  
عليها وعلى الاستمسك بها في المنشط والمكروه ، فلا يعامل أحداً  
إلا على الصدق ، ولا يعاقد قريباً أو أجنبياً إلا على ما جاءت به  
الشريعة من شروط ، ولا يرضى بالعقود الفاسدة المحرمة في  
الشريعة ، ولو كلفه ذلك قناطر مقنطرة من الذهب والفضة .  
وكذلك لا يتعاطى الأخلاق السيئة الذميمة أبداً ، وإن جره ذلك  
إلى المحاكم أو السجون ، فإن المسلم يلتزم الصدق ويقول الحق ،  
حتى على أعراد المشنقة . اهتمت الجماعة بهذه الناحية من التبليغ  
بوجه خاص ، فاستقال أعضاؤها من وظائف الحكومة الكافرة  
— البريطانية — وانقطع المحامون من رجالها عن المحاماة أمام  
المحاكم التي تحكم بغير ما أنزل الله — والمحاكم عندنا كلها كانت  
تحكم بغير ما أنزل الله — وأبوا أن يتعاطوا بالربا والعقود  
المحرمة ، حتى أخذوا على أنفسهم ألا يعاملوا المصارف ( البنوك )



التي لا تتحرك ولا تمشي إلا بالربا . وكذلك حرّموا على أنفسهم كل ما حرّمه الله ورسوله وإن كلفهم ذلك متاعب وشدائد لا قبل لعامة الناس باحتمالها ، ولا سيما في نظام أجنبي كافر لا يهتم بذلك في قليل ولا كثير، بل يرى أذنبه وأتباعه من المتسمين بالاسلام وغيرهم أن مثل هذه المقاطعة وهذا التحريم نوع من الجنون في هذا القرن . لكن أعضاء الجماعة قاموا بالشهادة العملية في كل دائرة وفي كل فرع من فروع الحياة ، وأثبتوا للناس أنهم يفعلون ما يقولون، وأنهم جادون لا هازلون . وكان من ذلك أنها لم تمض على هذا البرنامج وهذا المنهاج المخصوص للتربية سنة أو سنتان ، حتى اعترف الجميع أن هؤلاء المجانين رجال ، ولا كالرجال . وفي جانب آخر استوثقت الجماعة من نفسها ومن تصلب أعضائها واستقامة طباعهم وأخلاقهم ، وتقدمت إلى الأمام بخطوات متتدة رزينة، غير وانية ولا وجملة . وليس من موضوعنا في هذا المقام، أن نلم بما لقي أعضاء الجماعة من عنت الآباء والإخوة والأقرباء والأبناء والأزواج ، فإن الحديث بذلك يطول . والذي نريد تسجيله في هذا المقام أنه لم يكن أحد من أعضائنا في مكانه من حسن الحظ أن تلقاه أقرباه وذووه برحابة الصدر وتهلل الوجه بعدما أعلن انضمامه إلى الجماعة واعتزامه اتباع ما جاء به النبي

الأمى ﷺ من الكتاب العزيز والشريعة الطاهرة الكاملة . فمن الشبان — وهم الأغلبية العظمى — من طرده أبوه وأخرجه أهله من داره وحرم عليه أرضه وتباعه ، ومنهم من أبى ذروه قرباه أن يزوجه ابنتهم لأنه عمل بسنة النبي ﷺ وأعنى لحيته التي طالما تعود حلقها من قبل ، ومن الشيوخ من ضربه ابنه وأهانه ، لأنه تخلى عن حياة الجاهلية في شيخوخته . ومنهم .... ومنهم .... وجملة القول أن هذه الفتنة والمحنة قد ساعدتا الجماعة أيما مساعدة في تربية الأعضاء والاطمئنان إلى استعدادهم للبذل والتضحية .

والأمر الثاني من الأمور المتبعة والطرق المعتمد عليها في تربية الأعضاء ، المحافظة على نظام الجماعة . وذلك أن الجماعة بيئت ، في أول ما بينت من مقاصدها ، أنها الجماعة الداعية إلى إقامة الدين وإحياء نظام الاسلام الشامل المتكامل ، فمن أراد المشاركة فيها فمليه أن يتأمل المسألة بتريث ، ويعمل فيها ففكره ورويته . حتى إذا استيقنت نفسه واطمأنت إلى أن الغاية التي تدعو إليها الجماعة والأهداف التي تتمسك بها والمنهاج الذي تسير عليه ، حق لا ريب فيه ، وأنها عين الاسلام الذي جاء به النبي الأمى ﷺ — إذا اطمأن خاطره وسكنت نفسه إلى كل

ذلك ، اشترك في الجماعة وأصبح من أعضائها العاملين . والأعضاء كلهم مكلفون ، بموجب قواعد الاسلام الثابتة ، باتباع الأمير والانقياد لأمره في المعروف ، وعليهم عهد الله وعهد رسوله أن يطيعوا أميرهم ما لم يأمرهم بما يخالف ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فكان لذلك فائدتان عظيمتان : الأولى أنه لم يدخل في الجماعة إلا من آمن بفكرة الاسلام عن عقيدة وسكنت إليها نفسه ، ومن ثم ما ازداد عدد الأعضاء على بضع مائة رجل في السنين الست ( ١٣٦٠ - ١٣٦٦ ) التي نحن بصدد تاريخها في هذا الباب . والثانية أن الأعضاء لم يكونوا بحاجة إلى قوانين ولوائح وأقلية تقيدهم بواجبات مخصوصة وتحدد دائرة أعمالهم أو تفرض عليهم اكتتابات معينة ، فانهم ما قاموا بما قاموا به من الواجبات ، ولا بذلوا ما بذلوا في سبيل الدعوة من أوقاتهم وأموالهم ، إلا بدافع من إيمانهم ووازع من عقيدتهم وبيعهم الذي بايعوا به .

والأمر الثالث هو حرية النقد لكل عضو في نظام الجماعة الداخلي . وذلك أن النقد لا بد منه لإصلاح الجماعة ودرء ما يحدث فيها من الخلل ، ومثل النقد والانتقاد للجماعة كمثل النظافة للقرية أو البلدة . فالبلدة التي لا يعني فيها بالنظافة وإزالة الأتذار ،

تنتشر فيها الأمراض والأوبئة . وكذلك الجماعة التي لا يسمح فيها للأعضاء بالنقد ولا يتاح لهم أن يدلوا على مواطن الضعف في نظامها وأخلاق أعضائها وأعمالهم ، صائرة لا محالة إلى التشتت والانحطاط .

والجماعة الإسلامية بنفسها انتقدت على العالم كله ونظم الدنيا بأسرها وأظهرت للبلاد ما فيها من العيوب والمفاسد ، فكيف لا يسمح لأعضائها أن ينتقد أحدهم على الأمير أو على عضو آخر أو نظام الجماعة ، ما يراه برأيه في حاجة إلى الإصلاح والتقويم . وذلك عين ماجرت به العادة في زمن الراشدين المهديين رضوان الله عليهم أجمعين . فتمد جزى العمل في نظام الجماعة منذ يوم تأسيسها بأن ينتقد بعضهم على بعض ويستمع الذي ينتقد عليه إلى كلام الناقد بسعة القلب ورحابة الصدر ويرد عليه بأدب ووقار، إن كان يرى في انتقاد أخيه ما يحتاج إلى الرد والإيضاح . وكذلك واجب الناقد أن لا يصر على رأيه أو نقده إذا أرشده المنتقد عليه إلى وجه الصواب في المسألة . وأيضاً من واجبات جميع الأعضاء أن يدلوا الأمير على مواطن الضعف أو الخلل أو الفساد في نظام الجماعة، في أي فرع من فروعها ، وعلى الأمير

أن يستمع إلى أمثال تلك الشكاوى ويهتم بالتحقيق في شأنها .  
قد جرى العمل بذلك في نظام الجماعة منذ أول عهدهما ، ولا يزال  
العمل به جارياً ، وإن أفضى في بعض الأحيان إلى نوع من الخلل  
في تسيير دولاب العمل .

فهذه هي الأمور أو الطرق الثلاثة التي اختارتها الجماعة لتربية  
أعضائها في المرحلة الثانية من الدعوة ( ١٣٦٠ / ١٣٦٦ ) علاوة  
على نشر الصحف والمجلات والكتب والرسائل التي كانت تعنى  
بها بوجه خاص في المرحلة الأولى منها .

المرحلة الثالثة من الدعوة من ( ١٣٦٦ / ١٩٤٧ ) :

نحن الآن في مفتح عهد الاستقلال ، والجماعة سائرة في طريقها  
بتؤدة ووقار ، معنية بتربية الأعضاء والأناصر وإعدادهم  
للاضطلاع بأعباء المستقبل المرجوة ، والذي لا يختلف فيه اثنان  
أنه لم يخطر على قلب رجل ، حتى ولم يحلم بذلك مؤسس حركة  
باكستان ، أن البلاد تنقسم في عشية أو ضحاها انقساماً يأتي  
بالموت والآلام والعذاب المهيئ لمئات الألوف من الرجال والنساء  
وأن المسلمين في شرق بنجاب يطردون ويخرجون من بيوتهم

ويقتلون ويشردون وتهتك أعراض نسائهم وبناتهم ، وأنهم يرغمون على فراق أوطانهم وأراضيهم ومساجدهم ومقابرهم ومدارسهم ، وزعمائهم ساكتون فرحون بما حصلوا عليه من أرض بجزأة في غربي الهند وشرقها ، ولكنها سياسة الانكليز أرادت أن تذيب أهل البلاد وثمرات الاستقلال في أول عهده ، حتى يذكروا عهود العبودية والذل بالخير ويذرفوا الدموع على زوال ملكهم العتيد وبلاهة زعماء المسلمين وسداجتهم . . .

استغفر الله من زلة القلم ونفثات الصدر المكبوتة ، لست الآن بصدد سرد ما حدث ووقع في المجزرة الهائلة ، وما انصب على الأبرياء والعجزة والشيوخ وربات الخدور من أبناء الاسلام من العذاب المميين والذل والمهانة ، مما لم يسبق له نظير في تاريخ البشرية ، فان لذلك مقاما آخر .

وقد تقدم لي سرد بعض تلك الحوادث في جريدة ( الاخوان المسلمون ) اليومية بالقاهرة وجريدة ( السجل ) ببغداد في حينها . وقد صحت النية الآن على أن أجمع تلك المقالات في رسالة مستقلة إن شاء الله .

نعم لقد انقسمت البلاد انقساماً لم يخطر على قلب أحد ،

والجماعة لم تستكمل بعد برنامج التربية ومنهاج تنشئة الشباب المسلم على الأخلاق المتينة المحركة ، وكان بودها وفي برنامجها أن تبقى هذه المرحلة الثانية - مرحلة التربية والاستعداد - جارية متتابعة بضع سنين أخرى ، حتى إذا برزت الجماعة إلى ميدان الجهاد والكفاح ، برزت متدرعة بسلاح قوى من الإيمان والأخلاق الفاضلة والطباع المستقيمة . ولكن القدر جرى بما كان قدر ، وانقسمت البلاد الهندية إلى هندوستان وباكستان وتبدلت الأرض غير الأرض وانقلبت الأحوال ظهراً لبطن . فاضطرت الجماعة أيضاً أن تدخل في المرحلة الثالثة من الدعوة نظراً إلى مصالح الدين ، وحرصاً على مستقبل الدعوة في بلاد باكستان الجديدة ، كما كانت شرعت من قبل في المرحلة الثانية منها في الهند المتحدة ، حينما ظهرت بوادر نيات الهنادك ونجم قرن الاحاد بين المسلمين . وهي لم تفرغ بعد من مرحلة الدعوة الأولى .

وكان من التأثير المباشر لهذا التقسيم أن انقسمت الجماعة الاسلامية أيضاً وانفصلت الجماعة في باكستان عن أختها في الهند انفصالا تاماً . هذا وإن كنا نقدر أن التقسيم المطلوب ربما يؤدي بنا إلى أحوال وظروف ، نضطر فيها إلى تقسيم الجماعة ، لكن

التقسيم وما جاء على عقبه من انقلاب وتغير في شئون القطرين ،  
أجبرنا على الانفصال في أول فرصة ، حتى يمكن لأعضاء الجماعة  
في هندوستان (١) أن يديروا شئونهم حسب ظروفهم وأحوالهم  
ولهم أسوة حسنة في حياة النبي ﷺ وأصحابه ، في بدء الاسلام  
بمسكة المكرمة . وبما يسرنا في هذا المقام ذكره والتنويه به أن  
أعضاء الجماعة في هندوستان ما أضاعوا الفرصة ، بل انتظموا في  
عقد الجماعة بعد التقسيم بقليل ، وانتخبوا الأستاذ أبا الليث  
الندوي الاصلاحى أميراً لهم وأسسوا مركزهم في مدينة (رامبور)  
من مدن المقاطعات المتحدة ( U. P. ) . أما الأعمال التي قاموا  
بها والخدمات التي أسدوها للأمة المسلمة المنكوبة التي غادرها  
زعماؤها - من دعاة باكستان والرابطة الاسلامية - في أيام محنتها  
لحدث عن البحر ولا حرج . وأما الأهوال والشدائد التي تحملوها  
بصبر وأناة والمطاعن والشبهات التي أزالوها بحكمة ورزاقه ،  
والتضحيات التي قاموا بها والأموال التي بذلوها وأوقاتهم التي

---

(١) مما يجعل بنا ذكره في هذا النقام أن عدد الأعضاء في باكستان  
وقت تقسيم الجماعة كان ٣٣٥ ، والذين بقوا في الهند بلغ عددهم ٢٤٠ من  
بين رجل وامرأة ، إلا أن عدد النساء قليل في أعضاء كلتا الجماعتين .



أنفقوها، فانها مما يغتبط به ويؤثر، وبلسان الثناء يذكر . فلمعمر الحق، أنها تجعلنا - نحن الباكستانيين من أعضاء الجماعة - في حياء وخجل، إذا وازنا بين أحوالنا وأحوالهم وأعمالنا وأعمالهم وأنها مما تفخر به أمة على وجه الأرض، لو أُنِيحت لها .  
وجملة القول أن الأخ أبا الليث ومن معه من دعاة الحق وإخوان الصدق من أعضاء الجماعة وأنصارها، هم السلوة الوحيدة للشعب المسلم الهندي المنكوب المضطهد من قبل جيرانهم، والمظلوم المغبون من تلقاء زعمائهم وقادتهم . اللهم ثبت قلوب هذه الفئة المؤمنة المجاهدة من أعضاء الجماعة وأتباعها، وسدد خطاهم واربط جأشهم وخذ بيدهم وأيدهم بنصرك، فانهم حملة دينك ورافعو كلمتك، في قطر قد طغى فيه الكفر، وتنكر فيه - حتى وجوه العلماء والمشايخ - للدين اليزيف . اللهم هؤلاء رأس مالنا ومناط آمالنا وأمانينا في تلك البلاد الهندية التي قد ارتفعت فيها راية الكفر والضلال، مستظلة بظلال أمريكا واذككترا، اللهم لانهم يدعون إلى دينك ويبلغون كلمتك في مثل تلك الأحوال المؤلمة المضطربة، اللهم فادفع عنهم البلاء وثبت أقدامهم ولا تخيب رجاءنا فيهم .

هذا في الهند . وأما الجماعة في باكستان، فانها قد اضطرت

أن تبرز إلى ميدان الكفاح والنضال وتوسع نطاق عملها وتقوم بدعوة عامة للأمة إلى إحياء نظام الاسلام وإقامة الدين الكامل . وذلك لأسباب قاهرة ، لم تدع للجماعة مجالا للانزواء والتفرغ لتربية الأعضاء وتدوين الكتب ، شأنها قبل التقسيم .

فن أهمها أن المجتمع المسلم الباكستاني — على ما به من شوق إلى إحياء نظم الاسلام ونزوع إلى شيء يدعى الحكومة الاسلامية ، سمعوا به من غير أن يعرفوا حقيقته — لا يعرف من الاسلام إلا اسمه ولا يميز — حتى المتعلمون منهم — الغث من السمين والخبيث من الطيب . وهذا الجهل قد رسخ فيهم وتمكن منهم في القرون الماضية ، لأسباب قد تقدم لنا ذكرها . وقد ازداد ذلك الجهل بالاسلام ومبادئه في عصر الانكليز ، لنهاقت الناس على وظائف الحكومة ، وغفلت عن التعليم الديني وجود العلماء ، وعدم معرفتهم لمقتضيات العصر ، وعجزهم عن نشر الدعوة بأسلوب عصرى مفهوم . زد على ذلك أن زعماء المسلمين من كانوا على رأس حركة الانفصال عن الهنالك في السنين العشر التي سبقت التقسيم ، ما اهتموا بتنوير الرأي العام ، وتثقيف أذهان الجمهور ، ولا اعتنوا بتلقيحهم بمبادئ الدين الحق ،

وتعريفهم بالنظام الاسلامى الذى كانوا يجاهرون بالدعوة اليه كذبا وزورا . وكما قلنا لهم بوجوب تنوير أذهان العامة ونشيت قلوبهم على عقيدة الاسلام ومبادئه ، ودعوناهم إلى الاهتمام بهذه الناحية ، استخفوا بنا واستهزؤا بهذا الاسلام الذى يريد منهم فهم مبادئه والعمل بأوامره والنفور عن نواهيه ، بل كان من جهودهم ومساعدتهم أن تبقى الأمة جاهلة بمبادئ الاسلام وتعاليمه ، تقفوا أثرهم وتستسلم لأمرهم ، حتى إذا تمكنا من ناحية الأمر والحكم ، سهل عليهم خداعهم وغرورهم بالترهات والمظاهر الخداعة . فكان من نتائج كل ذلك أننا حصلنا على الاستقلال باسم الاسلام لإحياء نظم الاسلام — على حسب تهريرات القوم — والأغلبية الغالبة من سكان هذا القطر لا تعرف من الاسلام إلا أنه شيء مقدس ورثوه عن آبائهم ، وأن ذلك الاسلام المقدس لا يوجب عليهم إلا أن يصلوا ويصوموا ويأتوا بشعائر معينة محدودة .

والثانى أن الذين قادوا حركة الاستقلال وتولوا زمام الأمر بأيديهم بعده ، قد ظهر من قبل ، من أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم أنهم لا يريدون الاسلام ولا نظمه ولا حكمه . وإنما يريدون أن ينسجوا فى حكمهم وإدارتهم وسائر ما يتعلق بالدولة ومصالحها

العديدة المتشعبة على المنوال الذي شاهده في مصانع انكترا ،  
وأن يتخلقوا بأخلاق أساتذتهم الانكليز الذين ربوهم في مدارسهم  
وجامعاتهم وصنعوهم بأعينهم . ثم إن هؤلاء الزعماء الذين أصبحوا  
بعد الاستقلال وزراء ورؤساء ونوابا وسفراء ، لم يعد بعيداً  
من أمثالهم أن يأتوا بدستور انكليزي أو أمريكي أو خليط من  
الجنسين ، إذا تركوا وشأنهم ، يقترفون ما يشاؤون وتشاء  
أهواؤهم .

والثالث أن ما ظهر من أخلاق الشعب وزعمائه حين فرارهم  
من شرقي بنجاب وما صدر عنهم من مخزيات الأعمال ومبكميات  
الخصال - من استئثار كل رجل بنفسه وفسو الرشوة حتى في  
أيام المحنة وأنواع من القساوة والجفاء وغلاظ القلوب مما لا يتسع  
المقام لذكره والإفاضة فيه - حينما كانوا في ركب اللاجئين وفي  
معسكراتهم وخيابهم أمام سيوف الأعداء المصلته وبنادقهم  
المصوبة ، كل ذلك جعلنا على حذر من مستقبل الدولة ونفاذ  
الشريعة الإسلامية فيها .

ورابع الأربعة من تلك الأسباب القاهرة ما ظهر من سكان  
غربي بنجاب والحدود الغربية الشمالية وغيرهما من أقطار باكستان

الغربية ، حين خروج الهنادك والسيك من أهلها وهجرتهم إلى هندوستان — ما ظهر منهم من نهب الأموال المتروكة وسوء معاملتهم للاجئين المسلمين الذين طردوا من أوطانهم وأصيبوا في أعز ما كانوا يملكونه من المال والأهل والولد ، وما اقترفوه من الفظائع الشنيعة في قتل الأبرياء من الهنادك وهتك أعراض نسائهم وبناتهم ، كما أنى بهؤلاء الفسقة من المتسمين بالاسلام ، أرادوا أن يردوا على فظائع الهنادك بأمثالها . ومعاذ الإله أن يتجرأ المرء — وفي قلبه ذرة من الايمان — على هتك أعراض النساء غير المسلمات ونهب أموالهم وأموالهن ، بحجة أن المسلمين في أقطار أخرى قد عوملوا بمثل تلك المعاملة من إخوانهم وبنى نحلتهن . حاشا للمسلم أن يقترف مثل هذه السوءة الشنيعة . ولكن المتسمين بالاسلام . المنتسبين إليه في هاتيك الأقطار ، قد ارتكبوا كل ذلك . بل فيهم من تجرأ على هتك أعراض اللاجئات المسلمات اللاتي فررن من العار في بلاد الهنادك ، ووصم جبينه بعار الأبد .

هذا ما كانت عليه الحال في باكستان . الغربية وفي الأشهر الأولى بعد الاستقلال ، وهذه هي الأحوال والأسباب التامة التي حدثت الجماعة على الدخول في معترك الكفاح العملي والوقوف

في وجه هذه المنكرات ومقاومة الأخطار المهددة لكيان الدولة ، وإسلاميتها ، . دخلت الجماعة المعترك ، ورأس مالها تلك الفئة المؤمنة الصابرة من أعضاء الجماعة وأنصارها الذين عنيت بتربيتهم وإعدادهم لمثل هذه المعارك ، إلا أنها وزنت تلك الفئة القليلة بموازن النقد والاختبار ، وامتنحت صبرها وقوتها قبل أن تقذف بهم إلى خضم الكفاح المتلاطم الأمواج ، وقد أتاح الله لذلك الاختبار فرصة حسنة في تلك الأيام نفسها .

وكان ذلك الاختبار على ثلاثة أقسام أو في ثلاثة مواطن :  
الأول في مقاطعة ينجاب الشرقية قبيل كارثة التقسيم وبعدها ، حينما طرد المسلمون وأخرجوا من ديارهم وقتلوا ونهبت أموالهم وسلبوا أعراض نسائهم ونزل بهم بيد الهنادك والسيك حكومة وشعباً مالم ينزل بأية أمة في التاريخ ، فيما نعرف من عبر التاريخ وفظائعه وشنائعه . وكان في تلك الأقطار جملة صالحة من أعضاء الجماعة وأنصارها ، بل كان مركز الجماعة أيضاً في قرية من قرأها المحاطة بالسيك والهنادك ، فامتحنوا فيما امتحن به المسلمون واختبروا فيما اختبر به سائر بني الإسلام في تلك الأقطار ، إلا أنه مما يجب التنويه به والاشادة بذكره أن أحداً من أعضاء الجماعة لم يجبن ولم يفر قبل جيرانه وما استأثر بنفسه وأهله دون جيرانهم وأهلهم ، بل أثبت كل واحد منهم في قريته أو بلده أنه

هو الجدير بالزعامة بثباته وتجلده ومواساته للعجزة والأطفال والنساء . وقد نجح أكثرهم في أن ينجو بنفسه ونفوس أهل قريته أو الحمى الذي هو منه وبأني بهم سالمين إلى حدود باكستان ، وكان من فضل الله عليهم أنه لم يقتل أحد منهم (١) ولم يصب أحد في أعضائه وأعراض أهله ، وذلك بالأخلاق الحسنة التي أخذت من قبل بالباب جيرانهم السيك ووقعت من قلوبهم موقعا حسنا ، يعترفون لهم بسمو الخلق وطهارة السمائل .

والثاني في مقاطعة د بنجاب ، الغربية الداخلة في حدود باكستان . بل قلبها الخفاق وعرقها النابض ، في تلك الأيام نفسها . فقد شاهدت الأمة بأمر عينها أن أحداً من أعضاء هذه الجماعة في هذه البقعة من د باكستان ، لم يدنس عرضه وخلقه بنهب أموال الهنادك والسيك المفارقين لأوطانهم ، المهاجرين إلى هندوستان ؛ ولم يضع يده ولا على شبر واحد من أراضيهم المتروكة ، ولم يشارك — ولو من بعد — في التعرض للنساء أو النظر إليهن

---

(١) لم يستشهد منهم إلا شاب واحد دخل في قرية من قرى الهنادك والسيك لانقاذ من بها من مستضعفي المسلمين ؛ دخلها وحده في غاية من الجرأة فقتل بها شهيداً . رحمه الله رحمة الشهداء الصالحين

بسوء . بل كان فيهم من عرض نفسه للخطر ونجا بكثير من ابرياء  
الهنادك والسيك . وكان كل ذلك في زمن ، قلما بقي فيه أحد  
لم يفترق من بحر أموال الهنادك والسيك ولم يرو غليله من عيون  
أموالهم وأراضيتهم . وذلك أن الهنادك كانوا أمة من الأغنياء  
كاليهود تركوا أموالا طائلة وقصوراً شامخة ، لو دبرتها الحكومة  
تديراً عادلاً ، لكففت معظم اللاجئين المسلمين . وؤونة الأكل  
والسكن ، إلا أن القوم على اختلاف طبقاتهم قد وانغوا في هذا  
الإناء النجس ، فنجسوا أعمالهم وأخلاقهم .

والثالث ، وهو الأهم والأرفع ذكراً ، خدمة الجماعة  
لللاجئين من المسلمين والقياس بمواساتهم ومداواتهم والاهتمام  
بمسألتهم ومسكنهم بعد دخولهم في حدود باكستان من فوره .  
وذلك أن الجماعة - وكان عدد كبير من أعضائها أنفسهم من  
اللاجئين الذين لم يجدوا بعد مسكناً يأوون إليه - لاحظت أن  
الوافدين على باكستان صباح مساء ويدخلون - دودها  
ويلجأون إلى كنفها من شيوخ ونساء وأطفال وجرحى ومرضى  
وعجزة ، لانتهم الحكومة بشأنهم إلا قليلاً ، والجمعيات المسلمة  
الشعبية في الميدان لا تسكاد تكرر جهودها وقواها في عمل



إنساني بحت ، لا يدر لهم رزقا ولا يخولهم منصبا أو سمعة ، وأنه يموت كثير منهم جوعاً وعطشا بعد دخولهم في حدود المملكة ، وأنه يصبح عدد آخر عرضة للأمراض بسبب الضعف وقلة الأوقات وتجشم المشاق المتتابة .

لما شاهدت الجماعة كل ذلك، شمرت عن ساق الجد وأهابت بجميع أعضائها وأنصارها والمتأثرين بدعوتها وبكل من يجب الانضمام إلى هذا العمل الانساني الخالص، أن يقوموا قومة رجل واحد ويصبحوا مستعدين لأداء واجباتهم . وشرعت في العمل فعلا ، وهرع المتطوعون إلى ميدان العمل وتنابت الاعانات من كل فج وصوب، حتى تأثرت الحكومة وفوضت إدارة بعض مشاريعها الخيرة للاجئين إلى الجماعة وشهد رجال الحكومة ورؤساؤها أن هؤلاء الناس هم الأكفاء لهذا العمل الجدى الانساني العظيم . دامت هذه الخدمة الانسانية أربعة اشهر متوالية في د لاهور ، وبعض المدن الأخرى . حتى انقطع سيل اللاجئين وتم تسفيرهم من معسكرات اللاجئين في هندوستان واكتظت البلاد على سعتها بوفرة عددهم وأصبحت مسألة اللاجئين وتدبير أمرهم شغل الحكومة الشاغل ، إلا أن الجماعة قد أكملت

ما كانت أخذت على عاتقها من خدمة اللاجئين وهواساتهم وتدير أمورهم حين دخولهم وطنهم الجديد ومداواتهم . وبذلك اجتاز أعضاء الجماعة وأنصارها اختباراً قاسياً من اختبارات الحياة العملية والكفاح العملي .

### الدعوة العامة والمآلة بإعلان إسلام الدولة :

هذا ولما فرغت الجماعة من اختبار أعضائها وامتحان صبرهم على المسكاره وتحملهم للشاق والمتاعب وتجردهم عن الشهوات والمطامع في تلك المواطن الثلاثة ، ولاسيما الأخير منها ، شرعت في الدعوة العامة وبدأت تنشر محاسن النظام الاسلامي والحكومة الاسلامية . وقامت في هذه السبيل بجولات واسعة في المدن والقرى وعينت بغير مئات الألوف من النشرات لتبين مزايا نظام الحكم الاسلامي وتعميمها بين العامة ، حتى يكون الشعب على بصيرة بما تدعو إليه الجماعة . وذلك في يناير سنة ١٩٤٨ . ولعمر الحق أنه لم يمض على المسلمين في هذا القطر زمان نشرت فيه محاسن النظام الاسلامي وعممت تعميماً ، كما نشر وعمم في شهر واحد ، بمساعي أعضاء الجماعة وأنصارها وجهودهم المتواصلة المتابعة . ثم نشرت الجماعة صورة المطالبة، المشتملة على أربعة بنود

وعممتها تعميماً . وقد بلغ من ذبوعها وانتشارها أنها لم تخل منها قرية ولا مدينة ولا بيت ولا دكان ولا محطة ولا سيارة . ثم دخلت المطالبة في طور جديد من النشاط والعمل ، حينما جعل الشعب ويمثلوه يرسلون بهذه المطالبة، زرافات ووحدانا ، إلى الحاكم العام والجمعية التأسيسية ورئيس الوزراء وأخذت ترد عليهم مئات وألوفاً بكل بريد حتى ضاقت بها ذرعا ولا يكادون يهتدون إلى سبيل للتخلص منها . ودونك هذه المطالبة ، أو بنود المطالبة الأربعة، التي أقامت البلاد وأقعدتها، ونهت المتبوئين على العرش من نوم الغفلة :

« ولما كانت الأغلبية الغالبة من أهالي باكستان تؤمن بالاسلام ومبادئه ،

وأن المسلمين ما قاموا بالتضحيات البالغة والجهود الجبارة إلا ليتيسر لهم تسيير شؤون أمرهم طبقاً لتلك المبادئ ،

فالآن، وقد حصلنا على الاستقلال، يطالب كل مسلم باكستاني الجمعية التأسيسية بأن تعلن :

( ١ ) أن الحاكبة في باكستان مختصة لله العلي الأحد ،

وما للحكومة باكستان من الأمر من شيء غير انجاز أمر ماليتها  
الحقيقي في أرضه .

(۲) وأن الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي لباكستان

(۳) وأن كل ما يعارض الشريعة الإسلامية من قوانين البلاد  
الجزائية ، يلغى ويبطل ، وأنه لا ينفذ بعد ذلك قانون يخالف  
الشريعة .

(۴) وأن حكومة باكستان لا تتصرف في شؤون الملك إلا  
في ضمن الحدود التي رسمتها الشريعة . ،

هذه هي المطالبة الشعبية الشهيرة وبزودها الأربعة التي رتبها  
الأستاذ المودودي وأعلنها لأول مرة في محاضرة له في كلية  
الحقوق في دلهور ، يوم ۱۹ فبراير سنة ۱۹۴۸ ، ثم تلقى الأمة  
بالقبول وطالبت بها في مئات الألوف من الحفلات والخطب  
والمحاضرات والمقالات . حتى تنبه القائمون بالأمر للوقف الحرج  
ورأوا في محتوياتها خطراً على مزاعمهم ونياتهم الفاسدة وقضاء  
على ما كانوا يخفونه في ضمائرهم من تأسيس حكومة جمهورية  
لا دينية . فابتدعوا طريقاً من الطرق التي تلقوا دروسها بأيدي  
أساتذتهم الانكليز . وبيان ذلك أنها أوامات إلى بعض أذنانها

أن يشيع الخبر في الناس ، أن المودودي يقول بعدم مشروعية الجهاد في كشمير، وأن من قتل فيها وامدشاهد، مات موتاً حراماً، وتوافقت جميع الصحف المأجورة الموالية للحكومة والأذاعة وتعاونت على إشاعة هذا الخبر المزور المملوق ، لتثور الأمة على الجماعة ورجالها وتشغلهم بأنفسهم عن المطالبة ودعوة الأمة إلى إقامة نظام الاسلام ثم شفعت هذه الحملة الخبيثة باضطهاد العاملين في حق الدعوة والتضييق عليهم باعتقال الأستاذ أبي الأعلى المودودي والأستاذ أمين أحسن الاصلاحى — الذى يعد من مصاقع الخطباء وأهل العلم بالتفسير في هذه البلاد — والسيد طفيل محمد السكرتير العام (القيم) للجماعة وذلك فى رابع أكتوبر سنة ١٩٤٨ . وكذلك عطلت قبل ذلك صحيفتنا ( تسنيم اليومية ، وكوثر نصف الاسبوعية ) اللتان كانتا تنطقان بلسان الجماعة ، والمجلات الأخرى التى كانت تساعدنا . وأيضاً عومل كثير من أعضاء الجماعة فى مختلف الأقاليم والمديريات بالاضطهاد والاعتقال والضرب والشتم وغيرها من الأعمال التى كانت تتم على روح الانتقام من قبل الحكومة . . . . . ولكن حركة المطالبة ظلت جارية مستمرة مع كل ذلك، حتى ارتجت بها المدن والقرى واذعن رجال الحكومة المتخربون للرأى العام فأصدرت

الجمعية التأسيسية ذلك القرار التاريخي الذي عرف فيما بعد بقرار المبادئ ، والذي أعلنت به الدولة اسلامها وشهدت شهادة الحق ، وذلك في الثاني عشر من مارس سنة ١٩٤٩ ، وقد قرر هذا القرار والمودودي وزملاؤه محبوسون في السجن منذ ستة أشهر . ودونك الجزء المهم من ذلك القرار التاريخي :

« ولما كان الأمر والحكم في هذا الكون لله وحده ، وكانت السلطة التي منحها الله دولة باكستان بواسطة شعبها وديعة مقدسة لتزاو لها في الحدود التي رسمها الله ، تقرر هذه الجمعية التأسيسية ، بصفتها ممثلة للشعب الباكستاني ، أنها تضع لدولة باكستان المستقلة ذات السيادة الكاملة :

( ا ) دستوراً تمارس به الدولة وظيفتها وتمتع بالسلطات المخولة لها بواسطة نواب الشعب المنتخبين .

( ب ) دستوراً يكون العمل به وفق مبادئ الديمقراطية الكاملة والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية ، كما جاءت في تعاليم الاسلام .

( ج ) دستوراً يؤهل به المسلمون لأن ينظموا حياتهم الفردية

والجماعية حسب تعاليم الاسلام ومقتضياته التي وردت في الكتاب والسنة ، الخ الخ ..

فأنت ترى أن ذلك كان فضلاً من الله على هذه الأمة ، ونجاحاً ملبوساً للشعب المسلم الذي أبي أن يرضى دستوراً أو قانوناً غير دستور الاسلام أو قانونه . ومن جهة أخرى ، كان لهذا القرار تأثيره العميق في مستقبل الدولة ومستقبل مساهمها القاطنين بها ، كما لا يخفى على اللبيب البصير بالقانون والدستور . ولما كان هذا الأمر بالغاً الغاية من الأهمية في نظرنا ، رأينا أن نوضحه بكلمة موجزة .

وبيان ذلك أن الدول التي ليس لها دستور مدون إنما يحكم على نوعيتها ، أو كفرها وإسلامها ، بسلوكها في السياسة وتدير المملوك والتشريع . أما الدول التي لها دستور مدون مكتوب ، فلا يحكم بكفرها أو إسلامها أو شيوعيتها أو جمهوريتها إلا بنصوص الدستور نفسه .

فالذي لا يختلف فيه اثنان أن دولة باكستان لم تقم إلا باسم ( الاسلام ) المحبوب عند الشعب ، لكن القانون المعمول به في الحكومة بقي على ما كان عليه في عهد الانكليز ، أما الدستور

فقد انتقل حق وضعه إلى الجمعية التأسيسية التي خولت حاكمية البلاد وحقوق وضع الدستور باتفاق من الحكومة الانكليزية وأعضاء المجلس النيابي ، ممثلي الشعب يومئذ . فأصبح الشعب الباكستاني المسلم في حيرة من أمره : هل هو يعيش في دولة إسلامية أم دولة كافرة ؟ فالقانون هو القانون المبني على أساس حاكمية غير الله ، والمحاكم هي المحاكم التي تحكم بغير ما أنزل الله . والدستور هو الذي ورثه الانكليز - وهو القانون الذي يعرف بقانون حكومة الهند ١٩٣٥ . والجمعية التأسيسية الجديدة ساكتة لانفس ببنت شفة عن غايتها وأهدافها . والشعب يدين بالاسلام يريد القانون الاسلامي والشريعة الاسلامية .

قلنا ان الشعب أصبح في حيرة من أمره ، لكن العارفين بطبيعة الاسلام وطبيعة الدساتير والقوانين كانوا يرون أنه لا بد من إعلان الجمعية التأسيسية إسلامها واعتزامها وضع دستور إسلامي مبني على قواعد الشريعة الاسلامية ، حتى يتنفسوا في بيئة إسلامية خالصة ويطمئن خاطرهم إلى خدمة الدولة الجديدة . وإلا ، فلا فرق بين هذه الدولة والدول المسلمة الأخرى في بلدان المسلمين . ومن أجل ذلك قاموا بحركة المطالبة ، وكان من فضل الله عليهم وعلى هذه الدولة أن قررت جمعيتها التأسيسية هذا القرار



التاريخي الذي تقدم ذكره آنفاً. ومن ذلك اليوم أعلنت الجماعة الإسلامية إسلام الدولة ثم ولاءها للدولة وجواز المرافعة في محاكمها والتوظف في دوائرها المختلفة . وإن كانت القوانين باقية على ما كانت عليه وذلك لإعلان الجمعية التأسيسية غايتها وأهدافها . ومثل الدولة في ذلك كمثل رجل أسلم وشهد شهادة الحق ، لكنه ما بدأ يصلي ويؤدى الفروض والواجبات ، فنجته في تلقينه مبادئ الدين وتنشئته على امتثال الفروض والواجبات والتخاق بالآداب الإسلامية . كذلك أعلنت الجماعة إسلام الدولة بعد هذا القرار وشرعت في تحويلها فعلاً وعملاً إلى دولة إسلامية عاملة بالكتاب والسنة .

### البرنامج الجديد :

هذا ، وقد وصلنا في تأريخ حركة إقامة الدين ودعوة الجماعة الإسلامية إلى ما نحن عليه اليوم ، فيجمل بنا أن نبين في كلية موجزة منهاج الجماعة الجديد وخطتها الحديثة التي اختارتها للعمل بعد قرار المبادئ . وهذه الخطة الجديدة تشتمل على أربعة أغراض سامية وأهداف مهمة :

، ( ١ ) أن يحتفظ بكيان الدولة وتحمي من هجمات الاتجاهات

الفكرية والعملية - التي تعدل بها عن منهاج الاسلام - وعواقبها السيئة .

( ٢ ) أن تبذل الجهود في إصلاح شأن المجتمع ورقية الخلق والعقلي ، حتى ينقطع عن مناسيع الجاهلية ، ويقوم على دعائم الاسلام الصالحة ، ويبلغ من ذلك كله المستوى الذي تزدهر فيه الحسنات وتمحى السيئات .

( ٣ ) أن لا ينهض بنيان مملكتنا الجديدة إلا على الأسس التي حددت في (قرار المبادئ) ، وان لا ندع حيلة تدبر في السر أو في العلن لإقامة نظام جاهلي بعيد عن الاسلام ونظمه ، ضاربة ( بقرار المبادئ ) عرض الحائط .

( ٤ ) أن تستبدل زعامة راشدة صالحة بالزعامة الحاضرة ، وذلك بطرق سلمية جمهورية ، ثم يحدث تغيير وإصلاح في قوانين الحكومة وإدارتها ومعارفها وسياستها المالية وخطتها للحرب والسلم والسياسة الخارجية - يحدث في كل هذه الشعب والنواحي تغيير وإصلاح ، يجعل من دولة باكستان دولة تمثل الحكم الاسلامي أصدق تمثيل أمام الدنيا .

وهذه الأغراض الأربعة ، وكذلك المساعي والجهود التي

تبدل للوصول إليها والظفر بها ، متشابكة ، لا يمكن أن يفصل بعضها عن بعض ، وليس في وسعنا أن نعدد المساعي والطرق التي تختار لكل واحد من تلك الأهداف الأربعة ، منفصلا كل واحد منها عن الآخر ، إلا أننا نود أن نجمل الإشارة إلى بعض الجهود التي تبدل والطرق التي تختار والسبل التي تسلك لكل واحد من تلك الأهداف الأربعة ، منفصلا كل واحد منها عن الآخر ، إلا أننا نود أن نجمل الإشارة إلى بعض الجهود التي تبدل والطرق التي تختار والسبل التي تسلك لكل واحد من الأغراض الأربعة على حدة .

فالاتجاهات الفكرية التي تعدل بالأمة والدولة عن منهج الصواب، ولها أعوان وأنصار في الحكومة وعلية القوم والطبقات المتوسطة ، هي الشيوعية والتفرنج ، أى الاباحية والفجور المستورد من أسواق الغرب في العهد الانكيزى البائد . هذان هما الركبتان العظيمان اللذان يلجأ اليهما دعاة الاحاد والفجور والتبرج . والاتجاهات والنزعات الاخرى غيرهما ليس لها جذور ثابتة ، إنما هي تروتى وتتغذى من هاتين الشجرتين الخبيثتين . فالجماعة جادة في مقاومة هاتين النزعتين بالعلم والحكمة والتلقين والمظاهر العملية . فلأمير الجماعة ونخبة من أعضائها مؤامسات

سائرة في رد الشيوعية وتبيين محاسن نظام الاسلام الاقتصادي ، وكذلك لاعضائها وأنصارها أعمال جديدة في تحسين حال الفلاحين والعمال . وأيضاً لا تقصر صحف الجماعة ومجلاتها ولا تألو جهداً في القضاء على نزعات الفجور والخلاعة والاباحية والتبرج وغـيرها بما راج وانتشر بين المتعلمين والمتعلمات والمتفرنجين والمتفرنجيات ، حتى ان تلك الطبقة لا تخشى على نفسها إلا من الجماعة وحركتها الاسلامية القوية ، لأنهم يعرفون ويشاهدون بأمر أعينهم أن أعضاء الجماعة ليسوا من المشايخ والعلماء الذين كانوا يستهزئون بهم ويستخفون بشأنهم ، لكونهم يجهلون شؤون الملك ونظم الاقتصاد والسياسة الحاضرة . وإنما هم أمام جماعة من الدعاة تخرجت في الجامعات العصرية مثلهم ، إلا أن الله أنعم عليهم بتعمة الايمان وأكرمهم بالتوفيق لخدمة دينه وإعلاء كلمته .

أما إصلاح شأن المجتمع وترقية مستواه الخلقى والفكرى ، فهو عمل خطير يتوقف عليه نجاح الحركة كلها . فانه لا يمكن أن تقوم حركة إسلامية وتؤدي مهمتها بنجاح واستقامة في مجتمع مهديم البنيان ، متزلزل الأركان ، لا يكاد يستقر على شيء ولا

يثبت على مبدأ . فالجماعة استعرضت حال المجتمع استعراضاً كلياً وتأملت أحوال كل طبقة ودققت النظر في شؤونها وميولها الجلية والحقيرة ، ثم بدأت تخاطب كل طبقة وكل فئة بما يناسب عقولهم ومعارفهم وافكارهم . فالعلماء ، مثلاً ، لهم كلام ، وللعمامة كلام آخر . وكذلك لكل منهم برنامج مستقل . وأيضاً استعمانت الجماعة في مهمتها هذه ، بالمشاركة في انتخاب المجالس النيابية ، ودعت العمامة الى استخدام حق التصويت بشعور تام بالمسئولية . وكان من ثمرات ذلك أن انتشرت الدعوة في الأمصار والقرى وتغلغلت في المجتمع ، بحيث لم يبق أحد لم يعرف اسم الجماعة أو لم تبلغ كلمة الحق مسامعه .

والهدف الثالث - أن لا تحيد الدولة عن الحدود التي رسمها قرار المبادئ - يجعلنا وجهاً لوجه مع الحكومة الباكستانية والمسيرين لشؤونها ، فانهم لم يصادقوا على اقرار المبادئ . عن طيب نفس أبداً ، بل الأمر أنهم أرغموا على ذلك ارغاماً . والشاهد على ذلك انه قد مضى على إمضاء هذا القرار ثلاث سنوات وستة أشهر<sup>(١)</sup> والبلاد على حالها ، لم يحدث فيها أدنى

---

(١) كتبت هذه السطور في ١٧ ذي الحجة ١٣٧١ هـ ( ٨ / ٩ / ١٩٥٢ )

تغيير ، ولم يتبدل فيها ولا حرف واحد بماورثته من قوانين العهد الانكليزي المشؤوم . بل أدهى من ذلك وأمر أنه قلما يمضى يوم لا ياتون فيه بشيء يناقض الشريعة وينافي روح قرار المبادئ ، فأصبح مثل الدولة في ذلك كمثل رجل أسلم وشهد شهادة الحق ثم لا يصلي ولا يصوم ولا يؤدي شعائر الدين ، بل ربما يأتي ببعض الأعمال التي تعارض مبادئ الاسلام وأصوله الثابتة . فالظاهر أن ذلك لا يمكن تحمله الى أجل غير محدود في حق رجل واحد ، فضلا عن أن يتحمل في حق دولة بأسرها . فالجماعة واقفة متيقظة تراقب كل حركاتهم بحذر وحيطه ، وترد عليهم كلما تحتاج المسألة الى رد علمي ، وتقيم حركة شعبية حينما ترى أن المسألة جرد ، وأن القوم لا يستسلمون إلا للقوة الشعبية وفي الوقت نفسه ، ما زالت الجماعة تبين محاسن النظام الاسلامي وتنشر مزاياه ، بأسلوب علمي قوى محكم يقنع الطالب ويفهم المعاند . وكذلك ما غفلت الجماعة قط عن تنوير الرأي العام وتزويده بالمعلومات اللازمة بطرق وأساليب تلائم أذواقهم وطبائعهم .

ورابع الأربعة هو استبدال زعامة راشدة صالحة بالزعامة

الحاضرة ، حتى يتمكن من تحويل باكستان الى دولة إسلامية حقيقية ، تمثل حكم الاسلام ونظمه الخالدة أحسن تمثيل في هذا العصر . والذي يعرفه القاصي والداني أن القائمين بالأمر اليوم في باكستان لا يريدون الحكومة الإسلامية والنظام الإسلامي بأعمق قواديم ، وإنما أرغموا على إمضاء قرار المبادئ إرغاماً كما سبق ، فلا يرجى منهم ومن أمثالهم أن يصعدوا بدولة باكستان الى المستوى الخلقى الذي اتسم به الحكم الإسلامي في أزهى عصوره وأوفقها لتعاليم الاسلام والشريعة المحمدية . فاذن لا مندوحة من أن تستنفذ الجهود والمساعدة في استبدال زعامة راشدة صالحة بهذه الزعامة المعوجة المنكرة التي لم تقدم ولا خطوة واحدة الى الأمام ، مع أنه قد مضى على قرار المبادئ بضع سنوات . ولكن ما هو الطريق الى ذلك ؟ ان من طبيعة الحكم والسلطة أن لا يرضى بالتخلي عنهما من ذاق لنتهما مرة واحدة . والمقاومة العنيفة ربما تفضى بالبلاد الى فوضى وفساد لا يدري ماذا تكون عواقبها الوخيمة . فمن أجل هذا وذلك اختارت الجماعة الطرق السلمية الجمهورية من تنوير الرأي العام وخوض معارك الانتخابات والدخول في المجالس النيابية . لكن الأمر ليس بسهل ميسور كما يظهر لأول وهلة .

فالذين بيدهم أزمة الحكم في باكستان لا يتخرجون من وضع العراقيل والعقبات في طريق الانتخاب النزيه ، ولا يرون بأساً باستخدام أدوات الحكم من الشرطة والموظفين لاستمالة الرأي العام الى جانبهم ، خلافاً لجميع القوازين الجمهورية . وعلى كل فالجماعة دخلت المعركة وقررت خوض غمارها والمشاركة على النضال والكفاح في هذا الميدان ، حتى ترتفع كلمة الحق ويرفرف لواء الاسلام وتعاليمه في هذه البقعة من الارض .

هذا آخر ما اردت تسويده في هذه العجالة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . وكتب في العشرين

من ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ .

---



## فصل ختامى

مقتبس من رسالة « الجماعة الاسلامية »

### الجماعة الاسلامية وغايتها ومنهاج عملها:

إن غاية الجماعة الاسلامية الوحيدة ومقصدها الجوهرى انما هو اقامة النظام الاسلامى العادل فى الدنيا ، وابتغاء وجه الرب تعالى فى الآخرة .

وأما خطة سيرها ومنهاج عملها ، فلم تقتبسها إلا من كتاب الله العزيز وسنة جميع الأنبياء والرسل عامة وسيدهم وخاتمهم النبي الامى العربى — صلوات الله عليهم أجمعين — خاصة . فلا يهمها فى شىء بعد ذلك ما تسلكه الجمعيات العصرية من مسالك متشعبة وما تختاره الأحزاب السياسية من طرق للعمل ملتوية . وكذلك لا تلتفت فى قليل ولا كثير إلى ما تأتى به النظريات الحديثة المملقة فى أوربا وأمريكا . وإنما جل استمساكها واعتمادها على ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله من البينات والأحكام والهدى .

والذين يدخلون في هذه الجماعة وينضمون الى صفوفها على هذا المنهج ، ليس لهم من عمل عندها غير أن يشهدوا شهادة الحق باعمالهم ، ويظهروا بمظهره الوضئ في أقوالهم وأخلاقهم ، ويجدوا ويجتهدوا مجتمعين متساندين في سبيل إقامة الدين وتنفيذ نظمه وقوانينه كاملة من غير زيادة ولا نقصان ، ويقوموا لذلك بحركة جماهية شاملة حتى يمكن قضاء شهادة الحق على الناس ، على وجهها ، وتم حجة الله على خلقه ، فكل من آمن بعقيدة الاسلام وشهد شهادة الحق بقوله وعمله ، وأظهر استعداده لمؤازرتنا في هذا العمل ، ويشعر بما يصحبه من الواجبات والأعباء الخطيرة ، يعد عضوا من أعضاء الجماعة ، ذكراً كان أو أنثى ، شرقياً كان أو غربياً ، عربياً كان أو أعجمياً . فان عقيدة الاسلام لا تعرف للذوارق اللغوية والجغرافية والنسبية معنى ، ولا قيمة لها في دائرته وأعضاء الجماعة هم الذين ينتخبون أميرهم حسب الشورى التي ورد بها القرآن وعمل بها الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون المهديون من أصحاب النبي ﷺ . ولهم أن يعزلوا هذا الأمير عن منصبه حسب قواعد الشرع ، إذا شاءوا . وهذا الأمير — أمير الجماعة الاسلامية — يتولى أمرها ويدبر شئونها ويقودها الى ميادين الجهاد والكفاح ؛ ولا نقول — ولم نقل

قط - إن أمير جماعتنا هو أمير المسلمين كافة ، وإن من لم يدخل في طاعته فقد خلع ربة الاسلام من عنقه أو مات ميتة الجاهلية بل إنما هو أمير أعضاء الجماعة الذين انتخبوه أميراً لهم بانفسهم .  
والجماعة الاسلامية تقسم رجالها الى ثلاث طبقات :

( ١ ) أعضاؤها الخصوصيون ( ويسمون « اركان » باللغة الاردية ) : وهم الذين آمنوا بسمو دعوتها ، ووقنوا بحياتهم للوصول الى غايتها العليا ، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها ، ولم يبالوا في سبيل ذلك بما يصيبرهم من الأخطار والشدائد . وعددهم يبلغ ستائة رجل ونيفا في جميع باكستان ، إلا أنهم رجال وأى رجال . وفيهم من النساء عدد لا يستهان به ، وهن يعملن ويجاهدن في دوائرهن الخصوصية . وهؤلاء هم الصفوة المختارة .

( ٢ ) أنصارها ( ويسمون « همدرد » باللغة الاردية ) : وهم الذين لبوا دعوتها ويبدلون جهدهم المستطاع في سبيل نشرها وتعميمها ، إلا أنهم لم يتمكنوا بعد - لسبب من الأسباب - من أن يقفوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الدعوة ، شأن الأعضاء الخصوصيين . وهؤلاء يبلغ عددهم بضعة آلاف من النفوس .

(٣) المتأثرون بدعوتها (ويسمون «متفقيين» باللغة الاردية): وهم الذين يقرأون منشورات الجماعة وجرائدها ومجالاتها بانتظام ، ويظهرون موافقتهم الكاملة للدعوة ومنهاج الجماعة ، ولكنهم لا يعملون في سبيل نشر الدعوة عملاً منظمًا كالانصار ، إما لضعف في عقيدتهم أو خوفاً من اضطهاد الحكومة . وهؤلاء لا يحصيهم السجل ، ولا يعلم عددهم الا الله ، وهم منتشرون في كل محل .

### ادارة الجماعة الاسلامية ومركزها العام :

والجماعة الاسلامية لها فروع منبثة في معظم مدن باكستان وكثير من قرانا . وكل جماعة - في المدينة أو القرية - تقوم باعمالها وتنشر الدعوة بين سكان البلاد عامة بكل ما تصل اليه يدها من الوسائل الشرعية ، وحسب ما تتلقى من التعاليم من لدن مركزها العام . وكل فرع من هذه الفروع المنتشرة أمير محلي ، ومكتبة لتوزيع كتب الدعوة ، ومؤسسة مالية ( بيت المال ) يدخر فيها ما يؤدي أعضاء الجماعة وأنصارها من زكاة أموالهم السنوية وما يتبرعون به من ذات يدهم ، حسب ما تقتضيه الحاجة .

وبما لا بد من ذكره أن الجماعة لم تطلب الاكتتابات ، ولم تمد يد السؤال الى الجمهور ، ضنا بكرامتها وحفظاً لدعوتها الخالصة من نفوذ أصحاب الاغراض والاهواء الذاتية ، وإنما أعضاؤها وأنصارها والمتأثرون بدعوتها هم الذين يقومون بجميع نفقاتها وتكاليفها المالية .

وهذه الفروع الكثيرة موزعة الى أقسام ومراكز فرعية حسب التقسيم الادارى . ويشرف على الجميع مركز الجماعة العام فى مدينة لاهور ، وهناك مقر أمير الجماعة العام وبيت مالها ومكتبها الكبيرة وإدارة تنظيمها العامة .

### منشورات الجماعة

وبما لا يخفى على أحد أن دعوة إسلامية - مثل هذه الدعوة - لا يمكن أن تتقدم وتنمو صعداً فى هذا الزمان بمجرد الدعاوى الطائفة والتهافتات الفارغة ، بل لا بد لها من حركة قوية علمية تدرب الناشئة على منهاج دينى مخصوص ، وتثقفهم بثقافة اسلامية جامعة ، حتى يقدرُوا على أداء شهادة الحق بألسنتهم وأقلامهم ، ويتمكنوا من إبراز محاسن الاسلام وإقامة الحجج الظاهرة والبراهين الساطعة على سمو تعاليمه ونظرياته السياسية

والاقتصادية وعلو مبادئها وتفوقها على ما يماثلها من النظريات  
الرائجة المستوردة من بلاد الغرب .

والحمد لله على أن الجماعة أحسنت حاجتها وافتقارها الى كل  
ذلك بن أول أمرها ، وقامت بتربية أعضائها وتثقيفهم بالثقافة  
الاسلامية الجامعة الخالصة في كل فرع من فروع العلم والأدب ،  
حتى ظهرت آثار جهادها ملبوسة ، ونشأ بين أعضائها رجال  
وشبان متضلعون من علوم القرآن والسنة ، مطلعون على العلوم  
العصرية ، يعرضون الاسلام والنظام الاسلامي في محاوراتهم  
وكتاباتهم بأساليب جديدة علمية تلائم أفكار الناس وأذواقهم  
في هذا الزمان . فقد نشرت الجماعة الى الآن من كتبها  
ومشوراتها ما يربى عدده على خمسين كتاباً بين صغير وكبير ،  
وهي تعالج الحياة البشرية ومشاكلها الدقيقة والخطيرة ، وتبين  
تعاليم الاسلام في كل فرع من فروعها من العبادات والأخلاق  
والاجتماع والسياسة والاقتصاد . والذي يعرفه القاصي والداني  
ويعترف به أعدى أعداء الجماعة أنها أحدثت انقلاباً فكرياً  
وعملياً في بلاد الهند وباكستان ولائخر ، فان الحمد والمنة لله  
وحده . ويحمد القارىء عند انتهاء هذه الرسالة فهرساً موجزاً

لبعض منشورات الجماعة المهمة ، ولولا ضيق نطاق المقام -  
لفصلنا القول في ما تحتوي عليه هذه المنشورات من المطالب .

وبما أن هذه الكتب كلها باللغة الأردية - لغة معظم سكان  
هذه البلاد ولا سيما المسلمين منهم - فقد أنشأت الجماعة فروعاً  
عديدة تعنى بتعريف الجماعة وتبليغ دعوتها للذين لا يعرفون  
الأردية ، وتقوم بترجمة كتبها ورسائلها الى معظم اللغات الهندية  
الداخلية واللغات الخارجية العالمية .

### دار العروبة للدعوة الإسلامية

وهذه الدار - دار العروبة للدعوة الإسلامية - التي تتشرف  
بتقديم هذه العجالة ، هي أيضاً فرع من فروع الجماعة  
الإسلامية ، تأسست لبلاغ دعوتها الى العالم الإسلامي عامة  
وببلاد العرب خاصة ، علماً تجد في إخواننا الناطقين بالضاد من  
يساعدها في مهمة الإسلام ، ويشد أزرها في تحقيق غايتها العليا -  
إقامة دين الله في أرضه .

ولعلنا نلاحق بهذه العجالة فهرساً للرسائل التي قدر لهذه الدار  
تعريبها ونشرها الى الآن . وهذه الرسائل ، على صغرها وقلة  
حجمها ، تساعد القارئ في معرفة دعوة الجماعة الإسلامية

ومنهاج عملها وخطة سيرها إن شاء الله تعالى : وسوف تتلوها اخواتها الأخرى إن شاء الله تعالى . وكذلك في النية إصدار مجلة عربية شهرية إذا سمحت لنا به الظروف ، والعقبات لا تزال حائلة بيننا وبين تحقيق ذلك ، وعسى الله أن يمهّد السبيل ويذلل العقبات ، وهو المستعان وعليه التكلان .

وكذلك نشرت الجماعة عدة رسائل وكتب باللغة الانكليزية وللجماعة وأعضائها وأنصارها صحف يومية وأسبوعية ومجلات شهرية باللغة الاردية وغيرها من اللغات الهندية . ولولا أن ضيق نطاق المقام يحملنا على الاختصار لفصلنا فيها القول .

### بعض منشورات الجماعة المهمة بالأردية

١ - ( الجهاد في الإسلام ) : كتاب جامع فذ في موضوعه لم يؤلف مثله من بدء تاريخ الإسلام الى يومنا هذا بأى لغة من لغات العالم .

( للاستاذ المودودي ، الطبعة الثانية في ٤٠٥ صفحات )

٢ - ( المسلمون ومعضلات السياسة الحاضرة ) : كتاب بين

فيه المؤلف مختلف مذاهب السياسة الهندية ، ورد على نظرية التفريق بين الدين والسياسة ، وأنذر المسلمين العواقب السيئة



لاتباعهم خطط السياسة القومية والوطنية العوجاء ، ودعاهم الى إقامة النظام الاسلامى فى الأرض ، ورسم لذلك الخطة الواضحة البينة .

( للاستاذ المودودى ، فى ثلاثة أجزاء ، ٤٧٦ صفحة ، الطبعة السادسة )

٣ - ( الحجاب ) : تعرض فيه المؤلف اولا للحياة الاجتماعية والعشرة البيتية فى النظام الغربى الأوربى ، وكشف عن سوءاتها وما فيها من المفسد ، ثم رد عليها رداً مفصلاً حسب قواعد الفطرة والشرع ، وأوضح نظام العشرة البيتية وقواعد الاجتماع فى الاسلام ، مستنداً الى كتاب الله وسنة نبيه والفطرة السليمة الانسانية .

( للاستاذ المودودى ، الطبعة الخامسة فى ٢٤٠ صفحة )

٤ - ( التفهيمات ) فيه بحوث قيمة عن المسائل المهمة فى التوحيد والكلام بما يصعب على المتعلمين فهمه والاحاطة بمصالحه وحكمه ، كالهداية والضلال ، والعبادة والجماد ، والحرية والتسامح الدينى وغيرها . والآن يكاد ينشر الجزء الثانى لهذا الكتاب .

( للاستاذ المودودى ، الطبعة الرابعة ، الجزء الاول فى

( ٣٢٤ صفحة )

٥ - ( التوقيحات ) : كتاب يتناول بالبحث والنقد المسائل والآراء المضطربة التي تنشأ في أذهان الناشئة الجديدة عن الاسلام ومبادئه الخالدة لتتفهم بالثقافة الغربية في الكليات العصرية .  
وبما ساعد المؤلف على ادحاض هذه الشبهات تضلعه من العلوم الدينية والعصرية ، وارتواؤه من المهنيين جميعاً .

( الاستاذ المودودي ، الطبعة الخامسة في ٢١٢ صفحة )

٦ - ( رسالة في فهم المبادئ الاسلامية ) : خير كتاب ألف لطلاب المدارس والكليات الجديدة يساعدهم في فهم الاسلام الكامل وأصوله وقواعده ، وقد طبع منه ما يزيد على أربعين ألف نسخة خلال السنتين العشر الاخيرة ، وقرر تدريسه في جميع المدارس الثانوية في هذه البلاد . وقد ظهرت ترجمته ونشرت بالانكليزية وسائر اللغات الهندية الداخلية .

( للاستاذ المودودي ، الطبعة العاشرة في ١١٢ صفحة )

٧ - ( الخطب ) : مجموعة خطب ألقاها الاستاذ المودودي أيام الجمعة ، وبين فيها الاسلام لعامة الناس بأسلوب بالغ الغاية في السهولة والبسرة . وقد كان لهذه الخطب رواج عظيم وجعل

الائمة في المساجد يقرأونها ويلقونها على المصلين أيام الجمعة في أكثر أنحاء البلاد .

( الطبعة السابعة في ٢١٦ صفحة )

٨ - ( المصطلحات الأربعة في القرآن ) : فيه بيان لما جاء في القرآن من المصطلحات الأربعة : الاله ، والرب ، والعبادة ، والدين . حسبما وردت في القرآن والسنة والكلام العربي قبل الاسلام وبعده . ولا شك أن هذا الكتاب يمد للطلاب المستبصر سبيل فهم القرآن ويكشف النقاب عن بعض أسراره وحكمه البالغة .

( للاستاذ المودودي ، الطبعة الأولى في ٩٦ صفحة )

٩ - ( حقيقة الشرك ) ، ( حقيقة التوحيد ) ، ( حقيقة التقوى ) : ثلاثة كتب تبين المعنى الحقيقي للتوحيد والتقوى ، والشرك حسبما وردت هذه الكلمات في القرآن والسنة . وهي نتيجة بحوث مضمّنة شاقة وتفكير عميق متواصل ، قد أنفق فيه المؤلف مدة غير يسيرة من عمره . وهو - اطال الله بقاءه - من أفذاذ علماء الهند . فهذه الكتب تساعد القارىء أولاً في فهم حقائق التوحيد والشرك والتقوى ، وتروضه ثانياً على تدبر الكتاب العزيز واستكناه أسراره وبدائع آياته .

( للاستاذ أمين أحسن الاصلاحى ؛ كلها في ٢٨٤ صفحة )

١٠ - ( الربا ) : فيه رد على الشيوعية والرأسمالية الممقوتتين  
وشرح تفصيلي لنظرية الاسلام في الربا ونظامه الاقتصادي ،  
وبيان وجهة نظر الاسلام في باب المصارف والنأمين ، وما  
يختاره الاسلام من الصورة الواضحة للشؤون المالية في هذا الزمان  
( الاستاذ المودودي ، الطبعة الاولى في ١٦٨ صفحة )

١١ - ( الشيوعية والاسلام ) الاستاذ مسعود الندوي معتمد  
دار العربية للدعوة الاسلامية

( الشيوعية ونظام الاسلام الاقتصادي ) للسيد مظهر الدين الصديق  
فيها بيان مفصل لفلسفة الشيوعية الماركسية والاضاع  
الاقتصادية في النظام الشيوعي ، ويتبعه رد على مقنع مستند الى  
قواعد الفطرة والدين والاقتصاد ، ثم شرح لنظام الاسلام  
الاقتصادي وبراهين قاطعة وحجج بيّنة لتفوقه على كل نظام  
اقتصادي في الارض .

( الطبعة الثانية في ١٩٠ و ٣٨٤ صفحة ) .

١٢ - ( القانون الاسلامي ) : خطبة ألقاها الاستاذ  
المودودي في كلية الحقوق في لاهور ، وشرح فيها القانون  
الاسلامي وماأخذه والخطلة العملية لتنفيذه في هذه البلاد .

( الطبعة الاولى في ٥٦ صفحة ) .

## منشورات الجماعة بالانكليزية : —

١ — Towards Understanding Islam : ترجمة ( رسالة  
في فهم المبادئ الإسلامية ) التي سلف ذكرها في جملة المنشورات  
الأردنية تحت رقم ( ٦ ) . ( للاستاذ المودودي ، الطبعة الرابعة  
في ١٧٢ صفحة ) .

٢ — Nationalism and India ( القومية والهند ) : ترجمة  
رسالة للاستاذ المودودي رد فيها على القومية الهندية داعيا الى  
الاسلام الخالص النزيه من شوائب القومية أو الوطنية .  
( الطبعة الثانية في ٧٢ صفحة )

٣ — Political Theory of Islam : نفس الرسالة  
الترجمة بالعربية باسم « نظرية الاسلام السياسية » .  
( للاستاذ المودودي ، الطبعة الثانية في ٧٢ صفحة )

٤ — Process of Islamic Revolution رسالة للاستاذ  
المودودي مترجمة بالعربية باسم « منهاج الانقلاب الاسلامي » ،  
( الطبعة الثانية في ٥٨ صفحة )

٥ — Economic Problem of Man and its Islamic Solution  
نفس الرسالة المعربة المعروفة « معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام » ،  
( للاستاذ المودودي ، الطبعة الاولى في ٥٦ صفحة )

٦ - Ethical View Point of Islam ( نظرية الاسلام الخلقية ) : رسالة شرح فيما المؤلف وجهة نظر الاسلام في باب الاخلاق وبين محاسنها وتفوقها على المبادئ الخلقية التي تقدمها المذاهب الفلسفية والنظريات الرهبانية .  
( للاستاذ المودودي ، الطبعة الاولى في ٤٠ صفحة ) .

٧ - What is Islam ؟ ( ما هو الاسلام ؟ ) : رسالة في شرح مبادئ الاسلام الاولى ، ألقت بوجه خاص للتوزيع بين غير المسلمين والذين لم يدرسوا الاسلام درساً صحيحاً من أبناء المسلمين أنفسهم .

( للسيد مظهر الدين الصديقي ، الطبعة الثانية في ٩٦ صفحة )

٨ - After Secularism What ( ماذا بعد الاحاد ؟ ) : رسالة تبين تصور الاله النزيه السليم وما يترتب على الايمان به من نتائج في حياة الانسان العملية . ( للسيد مظهر الدين الصديقي ، الطبعة الاولى في ٥٦ صفحة ) .

٩ - Message of Jamâ - 'at - i - Islami ( دعوة الجماعة الاسلامية ) : خطبة ألقاها الاستاذ المودودي وبين فيها دعوة الجماعة الاسلامية وغايتها ومنهاج عملها .  
( الطبعة الاولى في ٤٠ صفحة ) .

## تعقيب اللجنة

في هذا العرض المجلد التاريخ دعوة الإسلام في الهند  
والباكستان أطلعنا الأستاذ مسعود الندوي على صورة دقيقة  
للتطورات المختلفة التي مرت بها هذه الدعوة ، والمعالم البارزة  
التي تمتاز بها . .

ونريد بعد أن عرضنا هذه الصورة على القارئ أن نقف  
معه وقفات نأخذ منها العبرة ونسترشد بها ، حتى تتم لنا الفائدة  
والنفع بتجارب إخواننا والسابقين علينا :

١ - وأول ما نستفيده - نحن معشر العاملين للإسلام  
والداعين إلى الله تعالى في هذا العصر - أن تاريخ هذه الأمة  
الإسلامية الكريمة لم يزل حافلا طول القرون الماضية بهذه الجهود  
المتلاحقة التي بذلها المسلمون في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي  
لنشر هذا الدين الحنيف بين الناس ، ولتصحيح العقيدة في نفوس  
المسلمين ، ولدفع الانحرافات والبدع والأهواء عن هذه الأمة ،  
وللوقوف عند حدود كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . وفي هذا  
كله خير مصداق لقول رسول الله ﷺ ، لا تزال طائفة من

أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ، (١) ولقوله « إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة » ، (٢)

وفيه أيضا بيان لحقيقة دورنا في العمل لهذا الدين ندرك معه أننا لسنا سوى حلقة صغيرة من حلقات عديدة في هذه السلسلة الطويلة الكريمة الممتدة عبر تاريخ أمتنا المجيد ، وبذلك نعرف حقيقة قدرنا « ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه » ، ولا يوجد فينا من لا يثنى بالخير على من سبقنا من المجاهدين العاملين لهذا الدين ، وبخاصة على القرون الأولى التي بدأت بصحابة رسول الله ﷺ الذين جاهدوا في الله حتى بلغوا هذا الدين ونشروه في الآفاق وكانوا أعلم الناس بالحلل والحرام ، ثم على من تبعهم بإحسان ممن ساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم ، وحرصوا على تثبيت هذا الدين في قلوب من دخل فيه من الأمم المختلفة ، وعملوا دائمين على تدوين علوم الإسلام المختلفة ، حتى وصلت إلينا هذه الرسالة

---

(١) رواه الحاكم في مستدرکه على الصحيحين ، ورواه ابن ماجه بمعناه في سننه ، ورواه البخارى ومسلم في صحيحهما بقريب من ذلك .

(٢) أخرجه الترمذی من حدیث ابن عمر وقال : حدیث حسن .



تامة كاملة قد حفظها الله تعالى بما وقع في الرسائل السابقة من تحريف في كتبها ، وضياح لصحيح شرائعها . . .

٢ - وفي هذا العرض أيضا نرى سجلا صادقا نبتين منه كيف يقوم العلماء العاملون المجاهدون الداعون إلى الله على بصيرة بالوراثة الحقيقية عن أنبياء الله ورسله الكرام ، وفي ذلك نذكر قوله **صلى الله عليه وسلم** من حديث أبي الدرداء . . . وإن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، (١)

ولقد وقف هؤلاء العلماء أمام أهواء الملوك وطغيانهم كما رأينا في موقف المجدد أحمد السمرهندي من الملك أكبر (٢)

وكان ذلك من أسباب إنقاذ الهند من الزيغ والضلال . . كما عارضوا البدع والضلالات التي دخلت في الدين عن طريق الصوفية الضالة ، (٣) أو عن طريق التشيع وعلم السلام (٤)

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٢) انظر ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٢٨ (٤) انظر ص ٤٠

ولقد كان العلماء المدافعون عن السنة مثل الشيخ عبد الحق ،  
وولي الله الدهلوى وتلاميذه ، والسيد سليمان الندوى مد الله في  
عمره ، هم منارات الطريق وأعلام الهدى . فقد قاوموا أولا  
الجاحدين لدين الله على اختلاف طوائفهم وفرقهم ، فحاربوا  
المنكرين للحديث النابذيين للسنة (١) ، كما تصدوا للذين يعدون  
أنفسهم مجددين في الدين وهم ممن يخوضون فيه بغير علم أو يحرفون  
الكلم عن مواضعه بتأويلهم لكتاب الله وسنة رسول الله تأويلا  
يوافق أهواءهم كما فعل أحمد خان (٢) ، أو ممن يوادون الكفار  
والمشركين مثل أبي الكلام الذى مالا الهنود وانتصر للحركة  
الجمالية (٣) .

ثم قاوموا أيضا الجامدين من العلماء الذين وقفوا عند التقليد  
الأعمى والعصبية للمذاهب والشيوخ . وأخيرا حاربوا بقوة  
علماء السوء الذين زينوا للملوك سوء أعمالهم ، وابتدعوا في الدين  
مالم يأذن به الله (٤) .

---

(١) انظر ص ٧٤ (٢) انظر ص ٥٧ - ٥٩

(٣) انظر ص ٧٧ (٤) انظر ص ٢٧

إن في ذلك كله برهانا واضحا على مكانة العلم الحقيقية في دين الله ، وعلى حقيقة الدور الذي يقوم به العلماء . وفي المسند عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ ، إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يتهدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة .

وأخرج الترمذى وابن ماجه والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ ، فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

ولقد أنذرنا رسول الله ﷺ بقبض العلماء وذهاب العلم وبسوء العاقبة بعد ذلك . . . روى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن حنبل وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رهوسا ( وفي رواية رؤساء ) جهالا فاسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ،

وروى البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ، من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويبدث الجهل ويشرب

الخمر ويظهر الزنا .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الطائفة الظاهرة على الحق ،  
وأن يرزقنا العلم النافع ، ويجنبنا فتن الدنيا والآخرة ..

٣٣- ولعل أخطر ما يصيب الدعوات ذلك الانحراف الذى  
يطرأ عليها بعد حين من سيرها ، فتعيد عندها عن منهجها القويم  
الذى بدأت به . وذلك إما للتغيير الذى يطرأ على أفكار بعض  
القائمين على هذه الدعوات والموجهين لها ، أو لأن هؤلاء تستخدمهم  
بشائر النصر فيتمجلون ثماره ، ويندفعون للوصول إلى مآربهم  
اندفاعاً قد يصحبه الكثير من التضحية بمبادئ الدعوة ومثلها  
الصحيحة ..

والعاصم لكل دعوة من هذا الانحراف والزيغ هو نضوج  
الفهم ووضوح الأهداف عند كل فرد من أفرادها بحيث يصبح  
من الصعوبة بمكان استهراؤهم أو الحيدة بهم عن طريقهم الواضح  
المستقيم ..

ولعل فى الحركة التى قامت لتأييد الخلافة ومؤازرة مسلى  
طرابلس والبلقان خير درس لنا فى هذا المقام ، ذلك أنها - كما  
ذكر الأستاذ مسعود الندوى - دما قامت ونهضت على أساس

فكرى متين ، والذين أقبلوا عليها وخاضوا غمارها لم يتفكروا في مصيرها ومستقبلها ، وإنما كانت حركة عاطفية ، منبعثة من عاطفة صادقة ، ظلت تعمل وتسير في طريقها ما دامت الحوادث تغذيها وتزودها بشعور متدفق جياش ، (١)

. . حتى إذا ما تغيرت الأوضاع وألغيت الخلافة ، وأرغم كمال أتاتورك وأتباعه أمتهم التركية على قبول خطته الجديدة المناقضة لمبادئ الإسلام . . وجد من الهنود المسلمين من ينتصر له ويدافع عنه مثل أبي الكلام ، ونبتت نابتة من المتفرنجين الذين استطاعوا أن ينتهزوا الفرصة لنشر أفكارهم وبث مبادئهم . .

٤ — ولقد أمدنا الأستاذ مسعود الندوى ببيان عن الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ المودودي، عرض لنا فيه المراحل المختلفة التي مرت بها الجماعة والأهداف الأساسية التي تهدف إليها. ولعل في وقوفنا عند بعض كلامه، وتحليلنا لأهم ما يميز الجماعة في عملها ما يعين دعاء الإسلام والعاملين له على الالتقاء وتوحيد الأهداف والوسائل، وانتفاع البعض بتجارب البعض الآخر . .

ولو راجعنا ما قرأناه في ص ٨٧ ٨٨ لوجدنا تحديداً دقيقةً.  
هذه الأهداف ننقل منه هذه السطور :

«... وكذلك العبودية لله ، التي هي لباب الدعوة وملاك أمرها، ندعو الناس، إلى إقامة نظم الحياة على أسسها المتينة المحكمة لها معنى خاص ، ومفهوم معين ، بينه الأستاذ المودودي تبيننا وأوضحه إيضاحاً في مختلف مؤلفاته ومقالاته ، حتى لا يذهل عنه أحد . وذلك أنه ليس لكل رجل أن يعبد الله حسب ما يشاء ويتفنى ، بل الأمر أن للعبودية والعبادة صورة واحدة مخصوصة هي اتباع الشريعة التي جاء بها النبي الأُمي محمد بن عبد الله ﷺ ، فلا يجوز لمسلم أن يرد منها ما يشاء ويختار منها ما يريد ، وذلك أن الإسلام عبادة عن الإذعان الكامل للشريعة المحمدية . والوسيلة إلى العلم بالشريعة ليست منحصرة في كتاب الله ، بل السنة النبوية والحديث النبوي أيضاً من الوسائل الأساسية للعلم بالشريعة . وليس من طريق الاستدلال من كتاب الله وسنة نبيه أن يسخر المرء النصوص لأهوائه ونظرياته ، وإنما الطريق الصحيح للاستخراج من ذينك اليذبيوعين أن يجعل المرء نظرياته وآراءه تبعاً لأوامر الله ورسوله ﷺ . وكذلك لسنا من القائلين

بالتقليد الجامد الذى لا متسع فيه للاجتهد وتحرى الحق والصواب كما لا نقول بالاجتهاد ، الكاذب ، الذى يرفض أقوال السلف جميعاً ويسحب ذيل النسيان على أفكارهم ومجتهداتهم ،

ولعل أهم الخصائص التى تميز الجماعة الاسلامية هي :

ا - النظرة إلى الاسلام على أنه دين شامل يعالج أمور الحياة جميعاً ، وليس هو بالدين الذى يقتصر على العبادة وحدها (١)

ب - أخذت الجماعة الاسلامية أعضائها بالفهم العميق والتكوين الدقيق فى المرحلة الأولى من عملها كجماعة ، إلى جانب تعميم الدعوة ونشر الفكرة بين الناس .

ج - حرصت الجماعة على أن يكون كل فرد من أفرادها صورة ناطقة لمبادئ الاسلام ، مهما كان فى ذلك من عنق ، وشدة أو مخالفة لمألفات الناس وعرفهم (٢)

د - قاومت الجماعة التيار الغربى الالحادى الشيوعى بتيار آخر على وفكرى مستمد من الاسلام ، وقائم على أساس

(٢) انظر ص ١٠٢ وما بعدها

(١) انظر ص ٨٥

## مخاربة الفكرة بالفكرة (١)

هـ - امتازت الجماعة بالبعد عن جانبي الجحود المنكر لمبادئ الاسلام وأصوله ، والجحود الذي لا مرونة فيه ، مع النمسك التام بمبادئ الاسلام الحقه ، وجعل الكتاب والسنة الأصل الذي نحمل أنفسنا عليه ، ولا نحمله على ما نهوى ونشتهى ..

و - اهتمت الجماعة بجانب « الكيف » أكثر مما اهتمت بجانب « الكم » ، في دعوة الناس وفي تكوين أفرادها ، ويتضح ذلك من تقسيم رجالها إلى ثلاثة أقسام : أركان وأنصار ومتأثرين ومن منهج التربية الذي أخذت به أعضاءها .

وفي ذلك اتباع لفقه الاسلام الذي يرى أن العدد والكثرة أمور لا قيمة لها في ميزان الله تعالى ، فالكثرة ليست هي سبب النصر ﴿ وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ إنما النصر في مقياس الاسلام هو بالإيمان وبتقوى الله وطاعته ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ ،



(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)  
ولقد أنحى الله تعالى باللائمة على الكافرين الذين ظنوا أن  
القوة وحدها هي التي تنصرهم فقال عز وجل ﴿ أمن هذا الذي  
جند لكم ينصركم من دون الرحمن ؟ إن الكافرون إلا في غرور ﴾  
فبقدر ما يوجد في القلوب من الإيمان وصدق التوجه إلى الله  
تعالى ، يتنزل على الناس النصر . وبسبب زيادة الإيمان ، لا  
زيادة العدد ، تقترب رويداً رويداً من أهدافنا ..

ز - وضعت الجماعة لنفسها خطة واضحة من أول يوم ، بل  
كان نشاط الأستاذ المودودي قبل تكوين الجماعة جزءاً تمهيدياً من هذه  
الخطة ، ووضعت لكل مرحلة هدفها القريب الذي يحقق جزءاً  
من خطتها الطويلة ، وكانت دائماً دقيقة موفقة بحمد الله في تحديد  
الهدف ورسم السبيل إليه والتزام تطبيقه ، مع الموازنة بشكل  
واع بين الهدف الأصيل ، الذي قامت من أجله وبين مطالب  
الساعة ، التي تتجدد حسب الظروف .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم